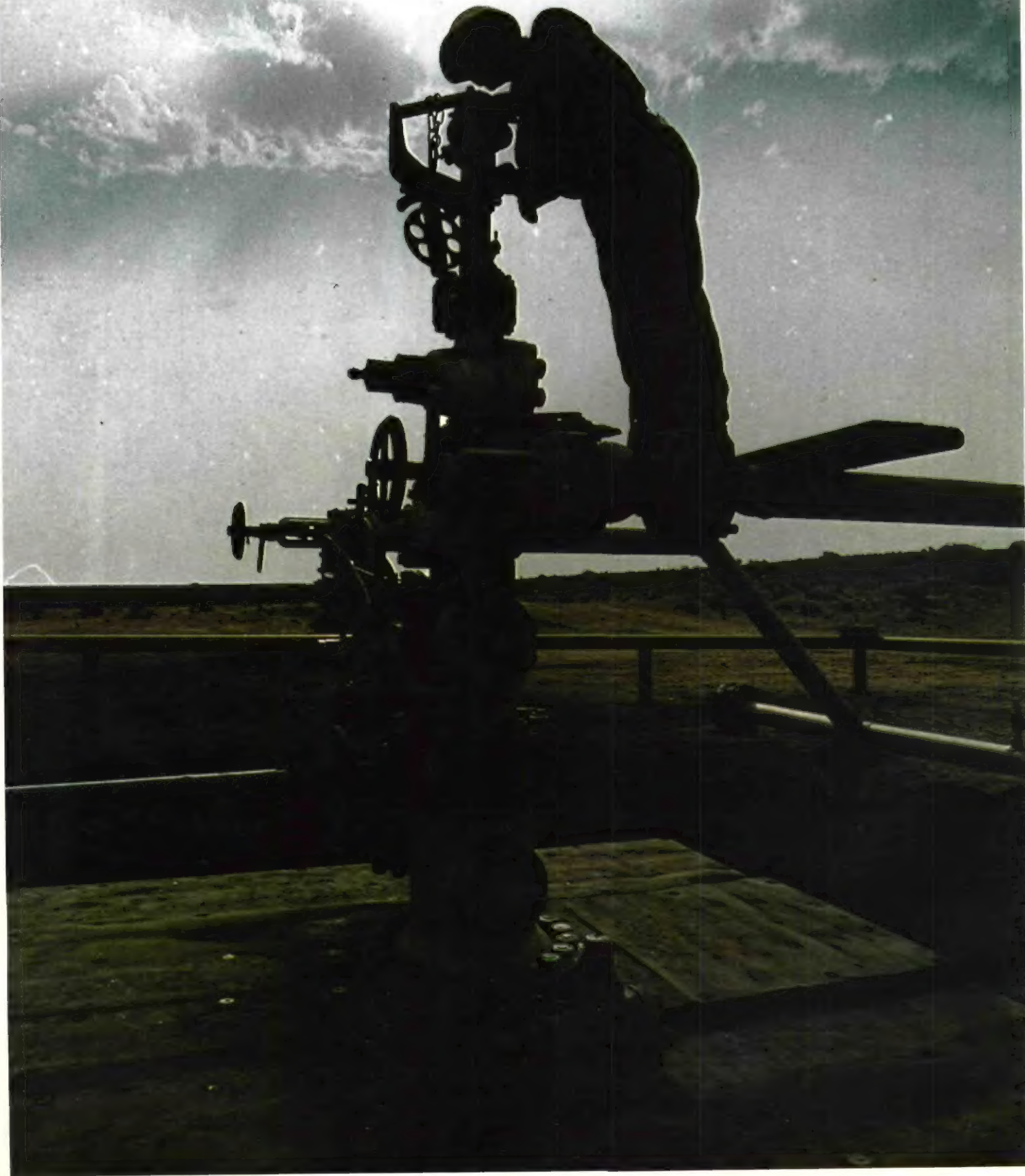


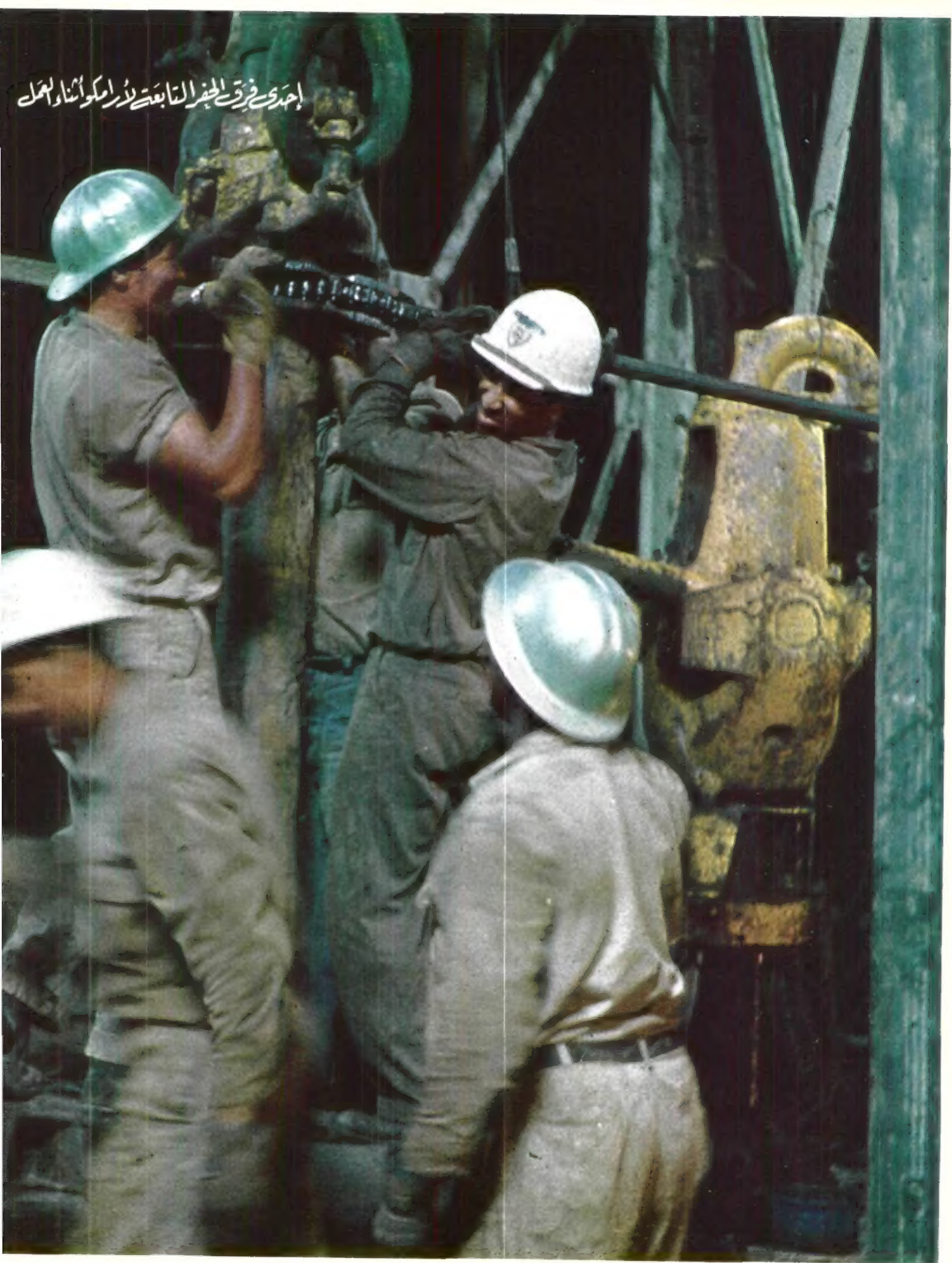
# قافلة الزيت

جمادى الأولى ١٣٩٠ - يوليه / أغسطس ١٩٧٠





إحدى فرق الحفر التابعة للأرامكو أثناء العمل





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## قافلة الزيت

العدد الخامس المجلد الثامن عشر

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها  
إدارة العلاقات العامة  
توزع مجاناً  
العنوان صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام: مصطفى حسن النخاس المدير المسؤول: علي حريقناويني  
رئيس التحرير: منصور مديني المحرر المساعد: عوني ابوكشك  
يجوز اقتباس المواد التي نعتها هيئة التحرير دون إذن مسبق  
مع ذكر القافلة كمصدر  
المواد التي نشرناها ونشرها القافلة لا تعتبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير

الزيت العربي على صورة الفلافو

تعرض آبار الزيت في المملكة العربية السعودية الى صيانة  
دورية حرصاً على مستوى الضغط فيها . (راجع المقال)  
تصوير : شيخ أمين

## محتويات العدد

### آداب

- ٣ المديح في الشعر العربي ..... أحمد الجندي  
١٠ من وحي الأمومة (قصيدة) ..... جليلة رضا  
الدكتور يعقوب صروف : قبس من  
١٩ فضله وذرو من ذكريات عنه ..... محمود أبو رية  
٢٤ ساعة في الريف (قصيدة) ..... محمد علي السنوسي  
٣٦ الطفل (قصة) ..... عبد العزيز ضياء  
٣٩ حصاد الكتب .....

### علوم

- ٧ نشوء البحرية الاسلامية ..... د. محمود زايد  
٢١ التكيف البشري ..... د. فاخر عاقل  
التنظيم القضائي في المملكة العربية  
٣١ السعودية ..... محمد عمر سعيد العامودي

### استطلاعات

- ١١ المتاحف في جامعة الرياض ..... هيئة التحرير  
٢٥ صيانة آبار الزيت والماء ..... هيئة التحرير  
٤١ الأصداف البحرية والودع ..... هيئة التحرير

# المدح في الشعر العربي

بقلم الاستاذ أحمد الجندى

والغزل أحياناً يتضمن المدح ، أليس المحبوب محلاً للمديح المحب ، حين يشبهه بالقمر المنير والنهار المضيء ، وحين يشبه جبينه بالشمس ، وعينه بعيني الغزال ؟ شعر التهاني ، أليس نوعاً من المدح أيضاً ؟ إذن فالمدح لم يكن يستقل بموضوع واحد في أول أمره ، ولكن حدوده تعينت فيما بعد ، وبذلك أصبح مختصاً بالوصف الموجه الى شخص يتضمن ذكر محاسنه الموروثة والمكتسبة لنيل العطاء وللغزو بالجوائز المالية وغيرها . وذلك ما كان يفعله أبو تمام ، والبحتري ، وابن الرومي . وغيرهم من شعراء العباسيين ، وجريز ، والفرزدق ، والأخطل ، وورصفاءهم من شعراء الأمويين ، والناطقة ، وزهير ، والأعشى ، من شعراء الجاهلية أصحاب المعلقة . وقد اختلفت ألوان المدح بالنسبة للعصور الأدبية ، فالمدح في العصر الجاهلي كان طلباً للرفد ، ولكنه طلب يحمل الكثير من اعتبار الذات والشعور بالكرامة ، لأن المادح من الشعراء لم يكن ينحط الى درك الخفاف بالمطالبة بالمال ، ولم يكن يعتمد الى فضح نفسه باعلان فقره واحتياجه ، ولم يكن يزل بنفسه عن المستوى الرفيع ، بل كان يقصر قوله على ذكر محاسن الممدوح الذي يستحق المدح لأنه أمير نبيل ، أو سيد كريم ، ثم هو يشير أو لا يشير الى ما يمكن أن يحققه مديحه من جائزة يستعين بها على حياته .. كل ذلك بكلام بعيد عن المبالغة والشطط في اسباغ الأوصاف المكبرة على الممدوح . وفي عصر الدولة الأموية ووجود الخلافة المروانية ، ذات الهيبة والسلطة ، أصبح المدح موجهاً الى الخليفة والعاملين معه . كما ان دخول الأمم المجاورة في ظل الاسلام وهي أمم مختلفة في طباعها وتقاليدها عن العرب ، أدخل شيئاً من التبدل على فن المدح ، فأخذ الشاعر يجد صعوبة في الحصول على عيشه عن طريق المدح الصادق ، مما اضطره الى زيادة المدح والمبالغة في

القبيلة تحزن ان خلت من شاعر ، وتفرح اذا نبع فيها أحد الموهوبين من الشعراء . وبطبيعة الحياة الشعرية عند الشعراء أخذ هؤلاء يتغزلون ويصفون ويرثون .. يتغزلون حين يلفتهم الجمال اليه ، ويصفون حين تأخذ أبصارهم مفاتن الصحراء ومحاسنها ، ويرثون حين يفتقدون عزيزاً أو يفارقون حبيباً أو قريباً . ولكنهم كانوا يحتاجون الى وسائل الحياة ، ولم تكن لهم حيلة في توفيرها الا الذهاب الى الأغنياء من الأمراء والوجهاء والأعيان والتجار يذكرون آلاءهم ويعددون مآثرهم ، ويسجلون أعمالهم ، ويشيرون فيهم دافع الكرم ، حتى يتألو منهم ما يصبون اليه من مال ، قد يكثر وقد يقل ، ولكنه يكفيهم مؤونة العيش ، ليفرغوا الى الحياة الفنية كاملة غير منقوصة ، من هو وعبت وغناء .

فما هو المدح ؟ لقد قال فيه بعض أصحاب النقد أنه ذكر محاسن الممدوح ، وتعداد مناقبه وميزاته . وقد اختلفت هذه الغاية مع اختلاف العصور . ففي عهد الجاهلية كان المدح لوناً من الوصف الذي تذكر فيه المحاسن ، كما كان المديح نوعاً من الوصف الذي تعدد فيه المساوئ . وكان المديح والذم مبرأين من الاستجداء ، وطلب الرفد والعطاء ، اذ كان فناً يقصد فيه الفن وحده . وقد كان المديح يتناول فرداً من الأفراد أو قبيلة من القبائل ، كما كان يتناول أحياناً الجزيرة بأسرها يصف عيشها ومفاخر أهلها ويجعل من سكانها العرب سادة الناس وعلية القوم .

والمدح في حقيقته ذكر للمحاسن ، ولكنه يتضمن وجوهاً أخرى من القول تدخل كلها في باب المدح ، وان حملت أسماء أخرى ، كالثناء مثلاً الذي هو تعداد مناقب الميت ، وذكر أعماله ومآثره ، ولكنه سمي ثناء لأنه قيل في ميت لا يرجى نواله ، وفي زائل لا يؤمل عطاؤه .

امتد الشعر العربي بكثرة فنونه وتعدد ألوانه واختلاف أبوابه فهو يشبه ما عند الأمم الأخرى في أشياء ويختص بأشياء أخرى تجعله مفرداً فيها .

ومن الأبواب التي امتاز بها الشعر العربي : المدح ، فهو فن ارتفع شأنه بين العرب وعلا قدره حتى كاد أن يكون الميدان الأوحده لبعض الشعراء ، والمجال الفرد لعدد من أصحاب فن القصيدة . وهذا لا يمنع أن يكون هذا اللون قد عرف عند بعض الأمم ولكنه كان عندها لوناً يضاف الى ألوان أخرى من الشعر .

ان طبيعة الحياة البدوية عند العرب أوجدت هذا الفن الشعري . فالحياة الاقتصادية البسيطة ، والحالة الاجتماعية الساذجة وقلة العمل عند قوم لا يعرفون في الغالب الا تربية الماشية والتنقل من مكان الى آخر في هذه البادية الشاسعة يترحلون وراء الغمام ويسرون خلف المطر ليصلوا الى المراعي ، التي هي غذاء انعامهم ومعاش ماشيتهم .. هذه الحياة المتشقة هي التي ساعدت ، ولا شك على تكون الفن الشعري عند العرب ، وهي التي حددت أنواعه وعينت أشكاله .

كانت البطالة شبه عامة ، وهذا ما أدت الى وجود الفقر الذي غمر الجزيرة العربية ، الا بعض الأسر والأفراد ممن كانوا يعملون في التجارة .. يذهبون بها الى اليمن جنوباً ، أو الى الشام شمالاً . وما كان هؤلاء التجار الا عدداً قليلاً من الناس بحيث لا يمكن أن تعتبر التجارة لوناً من ألوان الحياة الاجتماعية السائدة عند العرب قبل الاسلام .

وهذه الحياة اليسيرة غير المعقدة قد أوجدت طبقة من أصحاب الفن الشعري لا تعمل ، وترى في فنهم ميزة لها على غيرها ، كما ترى فيه عملاً أو وظيفة تؤديها لمجتمعها . ولقد اعترف المجتمع للشاعر بهذه الميزة ، فأصبح يعتز بها . وأصبح الشاعر موضع تبحيل واکرام ، حتى كانت



الأوصاف المستحسنة حتى ينال الجائزة التي يراها كفاء شعره .

**هكذا** رأينا كلا من جرير والفرزدق والأخطل يعمد الى التماذي في المدح ، ويذهب الى المبالغة ذهاباً يبعد به عن الحقيقة والواقع ، وقد نغزو هذه المبالغة الى تغير العصر كما قلنا من جهة ، والى شدة التنافس بين الشعراء الثلاثة وأندادهم من الشعراء في الحصول على السبق واحتجان الجوائز والأعطيات من الممدوحين من جهة أخرى .

فاذا انتقلنا الى العصر العباسي رأينا أن المديح قد أصبح فناً مستقلاً يختص به شاعر من الشعراء ، فيجعله شغله الشاغل ، بحيث لا يقول الشعر في باب من أبواب الشعر الا نادراً . ولو قرأت ديوان البحرى ، والمتنبى ، وأبى تمام ، ومسلم بن الوليد ، لخالك ما في هذه الدواوين من قصائد للمديح لا تحصى ، ولرأيت ان هذا المديح قد أصبح تكراراً لما سبقه من المدح عند الشاعر نفسه ، وكأن القصيدة هي نفس التي سبقتها بعد تغير العنوان والقافية والوزن ، أما المعاني والأفكار والأخيلة فهي لا تتغير ولا تبدل الا في القليل النادر . وقد تلبس القصيدة الواحدة بين عدد من الشعراء ، وربما عزيت الى أكثر من شاعر مداح ، لتقارب أغراض المدح وتشابه مراميها . يضاف الى ذلك كله ان المدح في العصر العباسي قد دخلته أفكار جديدة طارئة من منطق وفلسفة وعلوم كما هي الحال في مديح أبى تمام والمتنبى وغيرهما .

فمديح زهير في البيتين التاليين اللذين قالهما في مدح حصن بن حذيفة بن بدر ، ما هو الا نموذج للمديح الجاهلي المعتدل البسيط :

وأبيض فياض يده غمامة  
على معضيه ما تغب فواضله  
نراه اذا ما جئته مهتلاً  
كأنك تعطيه الذي أنت سائله

انه يصف كرمه وصفاً ولا يسأله عطاء أو رفداً ، ويقول ان كرمه منبعث من طبعه ، وان ماله لا يذهب الا بطريق العطاء ، وهو يتلذذ بالوجود والكرم حتى يسر بمن يسأله حاجة ، وكأنه يعطيه هذه الحاجة بدلا من أن يطلبها منه . وهذا وصف رائع في صحته وواقعيته وصدقه وبعده عن المبالغة والزيف .

**فأفلا** مررت بجرير رأيت عنده المبالغة في المديح ، بحيث يوحى اليك الشك في صدقه وسوء الظن في هدفه وطويته ثم تشعر بالذل في ذكر الجوع والسغب حتى يسف فيذكر زوجه وهي تعلل أولادها الصغار بما سيأتيها من عطاء الخليفة عبد الملك بن مروان ، وذلك حين يقول :

تعزرت أم حذرة ثم قالت  
رأيت الموردين ذوي لقاح  
تعلل وهي ساعبة بينها  
بأنفاس من الشم القراح  
سأمتاح البحور فجنبيني  
اداة اللوم وانتظري امتياحي  
ثقي بالله ليس له شريك  
ومن عند الخليفة بالنجاح  
أغثنى يا فداك أبى وأمي  
بسبب منك انك ذو ارتياح  
فاني قد رأيت علي حقا  
زيارتي الخليفة وامتداحي  
سأشكر ان رددت علي ريشي  
وأثبت القوادم في جناحي

**السم** خير من ركب المطايا  
واندى العالمين بطون راح ؟ !  
ولقد وضع ان هذا المدح ، رغم طرافته كشعر رفيع الأسلوب أخذ الصور وضاء اللمحات ، يدعو الى الحياء والخجل فكلمة « أغثنى » وحدها تنزل بالشاعر من مكان الكرامة الى ذل السؤال . لا سيما حين يرى الشاعر نفسه مقيداً بواجب

المديح الذي فرضه على نفسه فرضاً ، الى أن يصل الى هذه المبالغة التي لا يصدقها عقل القارىء وان أعجب بها احساسه الفني ، وذلك في قوله :

الستم ... الخ .  
فاذا وصلت الى العصر العباسي رأيت لونا جديداً من المديح : رأيت البحرى يرفع عقيرته بالغناء ، ويجهر بالسؤال ، رغم ما اتهم به من قلة الاعتقاد بصدق ما يقول ، فقد مدح قوماً ذمهم فيما بعد ، ودس على جماعة أشبههم فيما مضى مديحاً . وكذلك أبو تمام الذي كان أقرب الى الصدق في مديحه ولكنه كان يفصح عن طلب الأعطيات بل لقد كان يفخر بأن أعطيات الشعراء كانت كلها تجبى اليه . ومن نماذج المديح في شعر أبى تمام مدحه للخليفة المأمون ، حيث يقول :

الله أكبر جاء أكبر من جرت  
فتعزرت في كنهه الأوهام  
من شرد الاعدام عن أوطانه  
بالذل حتى استطرف الاعدام  
وتكفل الأيتام عن آباءهم  
حتى ودنا اننا أيتام  
لقد أدخل أبو تمام الخذلقة العصرية في هذا المديح فرأينا لفظي « الكنه » و « الأوهام » ، ورأينا كيف يود الشاعر أن يكون يتيماً حتى يستحق عطاء الكافل وفي هذا ذل لشاعر من فحول الشعراء كأبى تمام حتى لقد وصفه النقاد بأنه « مداحه نواحة » رغم ما عنده من شعر رائع وشاعرية خصبة .

**السم** في العصور التي تلت القرن الرابع للهجرة ، وهي عصور الدول المتتابعة وما سمي « بعصر الانحطاط » فقد حفل شعر المديح بأنواع من القول التقليدي ومن الصناعة اللفظية المستكرهة تحمل على الشعر حملاً ، فتغير من حاله وتسيء اليه ، وبذلك أصبح المديح مجرد صناعة شعرية واستجداء .



هنا مثلاً على هذا النوع من المديح بأبيات من شعراء هذا الجيل لئلا يرى أي درك وصل هذا الخيال الشعري من الاسفاف والغلو ، رغم ما فيه من صناعة شعرية .. فصفي الدين الحلبي يصف الملك الناصر محمد بن قلاوون بقوله :

ملك اذا اكتحل الملوك بنسوره

خروا لهيته الى الأذقان  
وهذا ابن القيسراني يقول في مدح عماد الدين الزنكي :

ان ساقني طلب الغنى أو شاقني  
حب العلا فلقد وردت موارد

ومنى عددت الى ندادك وسألي  
أعددت قصدي من أجل مقاصدي  
حتى أعود من امتدحك حالياً  
وكأنني قلدت بعض قلاندي  
وهذا الشرف الانصاري يقول في مدح الملك المنصور :

أنت الملك المنصور أشرف من  
فاق البرايا عزاً وتمكيناً

يا ناصر الدين يا محمد ما  
أولى بحمد من ينصر الدين

تهنّ ما شئت من مدائحنا  
كما لنا من ندادك ماشيناً  
وهذا ابن عنين يمدح الملك العادل فيقول :

نسخت خلائقه الحميدة ما أنى  
في الكتب عن كسرى الملوك وقيصراً

حلم تخف له الخلوم ووراءه  
عزم ورأي يحقر الاسكندرا

لا تسمع حديث ملك غيره  
يروى فكل الصيد في جوف الفرا

ان مثل هذه الأماديج المغالى فيها كل هذا الغلو ، والبعيدة كل البعد عن الحقيقة وعن الذوق الفني ليست سوى نظم لا طعم له ولا لون ولا رائحة . وهي قد تركت أثراً سيئاً لدى النقاد ،

فأصبح الممدوح فناً مكروهاً ، وأصبح المادح محلاً للوم والتقريع أحياناً ، وأصبحت كثرة الممدوح عيباً كبيراً عند الشاعر ، حتى لقد عيب ذلك على المتنبي والبحري وكل الشعراء الذين تقدموا هذين الشاعرين الكبيرين ، بل لقد اشتط بعض الأدباء فاعتبروا هذا اللون الشعري عيباً ظاهراً من عيوب الشعر العربي .

نبعد عن الحقيقة اذا قلنا ان الممدوح قد أضر كثيراً في الشعر العربي مما حمل بعض الشعراء على تحديد موقف المادح من الممدوح ، وتعيين الحدود للقول في الممدوح بحيث ينبغي على الشاعر أن لا يشتط كثيراً في مدح الممدوح وكيل الصفات له كيلا يبعد بالشعر عن الحقيقة التي هي غاية كل قول .

ولقد أحس بعض الشعراء من ذوي الحس المرهف ان الممدوح صفة تنزل بصاحبها عن المستوى الرفيع وانه صفة تدعو الى الغضب من كرامة الشعر والشاعر . وانظر الى رأي ابن الرومي في ذاته ، ورأيه في صفة المادح حين يقول لمحمد بن عبد الله بن طاهر الذي ظن انه يحسده على شعره :

أتحدثني تجويد ريط نسجه  
لتلبسه يا للعجيب من الأمر

تذكر هداك الله انسي مادح  
وانك ممدوح فلا تعد بي قدر

وكأنه يعتف نفسه ويضعها في مرتبة دون مرتبة ابن طاهر لأنه مادح ، وابن طاهر ممدوح ، والحقيقة ان ابن طاهر هذا قد حاول نظم الشعر فأخفق ، ورأى شعر ابن الرومي ، فخامره الحسد حتى قصر في عطائه غيرة وحسداً .

ولقد لقي ابن الرومي والمتنبي ألواناً كثيرة من الغضاضة والاساءة بسبب هذا الممدوح الذي عرضا ذاتيهما له . أما ابن الرومي فمعدود بعض الشيء نظراً الى فقره وفاقته ، بل ومرضه العصبي رغم شعره الذي عرف بالصدق ، وقد وصف علاقته مع ممدوحه وصفاً يقطع القلب حزناً واشفاقاً . انه

يمدح ليطلب ثوباً يلبسه بعد أن أعجزه تدارك الثوب ، ولكن الممدوح يطله ، فيقول له حقاً مغضباً :

جعلت فداك لم أسأل  
لك ذلك الثوب للكفن  
سألتكه لألبسه

وروحى بعد في البدن  
وربما رد عليه المادحون شعره بعد أيام ليقولوا له بكل قسوة : خذ شعرك فامدح به غيرنا ، فيجيب ناثراً مثلاً :

رددت علي مدحي بعد مطل  
وقد دنست ملبسه الجديد

وقلت امدح به من شئت غيري  
ومن ذا يقبل الممدوح الرديد

ما لقيه المتنبي في سبيل مدحه فقد كان أعجب وأخطر . لقد كان امتناعه عن الممدوح أحياناً باعثاً للتأمر عليه ، كما كان سبب قتله في نهاية المطاف ، على بعض الروايات . ففقدت به اللغة العربية شاعراً كبيراً ، وحكيماً فذاً . ولقد كان المتنبي يحترم نفسه ، ولكنه كان اذا رأى المال يعمد الى الممدوح لينال به عظيم الرفد ، فاذا سئل في ذلك أجاب اجابة المحزون المتألم في ذاته ، واعتذر بأنه محتاج للمال ثم يخترع حكاية بائع البطيخ الذي لم يبعه البطيخ لوضاعته وباع الوجيه الذي جاءه بثمن أقل .

ولكنه كان يعرف انه يقلل من شأنه وعزة نفسه في المديح ، فكانت هذه الفكرة تراوده ، فاذا تملكته منه أبى المديح ، واستعصى عليه القول في الممدوحين ، مهما علت أقدارهم لذلك أبى أن يمدح الصاحب ابن عباد ، والحارثي ، وابن كيغلف ، فأثار أولئك الشعراء عليه فشتموه وهجوه ، وحاولوا قتله فيما نقله المؤرخون .

وقد برر مديحه لكافور بطلب الملك ، وان ما مدحه به قد كان في سبيل الحصول

على الولاية :

إذا لم تهب في ضيعة أو ولاية

فجودك يكسني ومدحك يسلب

ثم قال في موضع آخر :

وغير كثير أن يزورك راجل

فيرجع ملكاً للعراقين واليا

ولكن هذا لا يعفي المتنبي من العقاب الأدبي في رأي النقاد ، فكان عليه أن يربأ بنفسه أن تسام القول الذي لا يناسبه ، وكان من واجبه أن يجعل ذاته في معزل عن المساومات والمحاولات . على انه كان الشاعر الأوحده الذي سعى اليه الممدوحون ، ولم يسع اليهم . وكان الفنان الفرد الذي وضع الشروط لمسدائحه ولطريقة انشاده بحضرة الممدوحين ، كما صنع مع سيف الدولة .

الممدوح رغم كل ما تقدم من صفات تبعث على الثور فانه في حد ذاته فن أصيل . فالممدوح في حقيقته المثلث ليس ذكراً للصفات الحسنة يضعها المادح على هواه ليكيلها للممدوحين . ليس هذا هو الممدوح ، وإنما قد يكون كلاماً صادقاً فيه سوى وفيه صداقة وفيه وفاء ، وقد يخلص انسان الحب لانسان يعزه فيمدحه ذاكراً صفاته التي أعجبت . والشاعر الصحيح لا يستطيع السكوت ازاء ما يعجبه من مناظر وصفات وهكذا أحب المتنبي سيف الدولة فمدحه شاكراً ، ومدحه صادقاً ، ومدحه وفياً ، فيقول له معاتباً في آخر قصائده الخليليات :

واحر قلباه ممن قلبه شبم

ومن بجسمي وحالي عنده سقم

مالي أكتم حباً قد برى جسدي

وتدعي حب سيف الدولة الأمام

انه يحب ممدوحه ، وهذا ما لم يقله الشعراء المادحون المأجورون وهو يمدحه لأنه يحبه ، وقد يغار من أولئك الذين يدعون حب سيف الدولة ادعاء غير صادق . ثم يلتفت اليه معاتباً يساه

عتاب الصديق الجريح ، فيقول :

يا أعدل الناس الا في معاملتي

فيك الخصام وانت الخصم والحكم

وبيننا لو رعيم ذاك معرفة

ان المعارف في أهل النهى ذمم

فاذا اضطر الى ترك حلب ، واللجوء الى كافور في مصر مدح كافوراً ، ولكنه مدح مبطن يضر فيه الكثير مما لا يستطيع اظهاره من سخر وضحك مؤلمين . ومن ينظر الى شروح ابن جني لأقوال المتنبي يتضح لعينه هذا الذي نقوله فان المتنبي لم يمدح كافوراً مدحاً صادقاً أبداً ، بل كان في مديحه يحاول استغلاله والوصول الى ما يريد ، وهو في كل ما مدحه لم ينس أبداً سيف الدولة الذي خذله وخان عهده وأطاع حساده وشائنيه ، حتى لجأ الى من لا يحب ومن لا يراه جديراً بمدحه أو كفواً لشعره . لقد مدح كافوراً ، فبدأ قوله بهذه الشتيمة الصريحة :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فان أعظم الداء هو الداء الذي دواؤه الموت ، ومن الألم العظيم أن يصبح الموت أمنية الأحياء . والقصد من ذلك انه يتعذب ويتألم لاضطراره الى مدح كافور ، ثم يتم هذا المعنى العجيب بالأبيات التي تلي مطلع القصيدة ، فيذكر المتنبي الذي الجأ الى هذا المديح المفتعل المصطنع ، ويقول مخاطباً قلبه :

حببتك قلبي قبل حبك من نأى

وقد كان غداراً فكأن أنت وافي

واعلم ان البين يشكيك بعده

فلست فؤادي ان رأيتك شاكيا

فان دموع العين قدر بربرها

اذا كن أثر الغادرين جواريا

ولأول مرة في حياته يحس المتنبي لوعة فراق الأصدقاء ، ويشعر بالحزن حين أبعدته الدهر عن صفيه وصديقه الأوحده الذي فهم حياته وقدر

عبقريته ، فوضعها في المكان اللائق من مجلسه العظيم .

كان المديح وسيلة المتنبي في الحكمة والحياة ، ولولاه لما جرت على لسانه أبياته المجيدة وأمثاله الرائعة .

وما ذنب المتنبي وغيره من الشعراء النابهين اذا أسف بعض الناس ، فمدحوا المديح الجاف البارد الذي لا يشتمل على غير الاستجداء .

ان المديح سيظل فناً قائماً بذاته وان انحسر ظله في هذه الأيام فلقد يمدح الانسان صديقه ، ويمدح من يخلص له الوفاء دون أن يطلب على مديحه أجراً .

ولقد وضع شعراؤنا الكبار الاتجاه المقبول لفن المدح ، وهو الاتجاه الذي يبرهنهم من العيب والنقد الجارح ، فقال أبو تمام .

ولولا خلخال سنها الشعر ما درت

بناة العلى من أين تبنى المكارم

وعيب ابن الرومي المبالغة ، ويضع القاعدة للمدح ، فيقول :

واذا امرؤ مدح امرأ لنواله

وأطال فيه فقد أطال هجاءه

لو لم يقدر فيه بعد المستقي

عند الورود لما أطال رشاه

ويعد المتنبي الى الاعتذار عن مدحه مبيئاً

السبب الذي دعاه الى ذلك بهذا القول

الرائع :

وما شكرت لأن المال فرحي

سيان عندي اكثار واقلال

لكن وجدت قبيحا أن يجادلنا

واننا بقضاء الحق بخال

وهكذا نخلص الى القول بأن المدح باب من أبواب الفن امتاز به الأدب العربي ، فبقي على الزمان فناً لا يحسن اهماله ولا يجوز اغفاله



# نشوء البحر الابيض

بقلم الدكتور محمود زايد

تكد تمضي سنوات قليلة على انطلاق  
سمر موجة الفتح العربي حتى أحرز العرب  
سلسلة من الانتصارات الرائعة على أعظم قوتين في  
الشرق الأدنى ، هما الفرس والبيزنطيون الذين كانوا  
يتنافسون على السيادة في المنطقة .. ففي معركة  
اليرموك عام ٦٣٦م تقرر مصير سوريا ، وآل  
بيت المقدس الى العرب وصارت فلسطين ولاية  
عربية . وفي السنة التالية أوقع العرب بالفرس في  
معركة « القادسية » فتخطوا حاجز الفرات الذي  
طالما وقف في وجه الغزاة ، وحال دون تقدمهم الى  
الشرق . وفي سنة ٦٣٩م زحف العرب على مصر ،  
وفي غضون سنتين أجبروا البيزنطيين على التخلي  
عنها .

على أن هذه الفتوحات العربية التي تمت في  
وقت قصير جداً قد جلبت معها تحديات للفاتحين  
كان من أخطرها تهديد البحرية البيزنطية للسواحل  
العربية التي كان العرب يسيطرون عليها . فبالرغم  
من فقدان البيزنطيين لجزء كبير من ممتلكاتهم  
في كل من آسيا وأفريقية وأوروبا فقد كانوا لا  
يزالون سادة البحر الأبيض المتوسط . إذ كانت  
دور الصناعة في الموانئ البحرية ، وبخاصة في  
الاسكندرية ، تزودهم بأعداد كبيرة من السفن  
الحربية الكبيرة والسفن المطاردة .  
ومما يستلفت النظر حقاً ويدعو الى الاعجاب  
أن العرب استجابوا لهذا التحدي الخطير بعزم

واصرار ، وإن كانوا قد تريثوا بعض الشيء في  
مواجهة البيزنطيين في البحر . ولم تمض أربع عشرة  
سنة على زحفهم على مصر حتى استطاعوا أن  
يهزموا الأسطول البيزنطي في معركة بحرية كبيرة .  
على أن تراث العرب في مواجهة أعدائهم في  
البحر اجتذب من التفات المؤرخين ما لم تجتذبه  
قدرة العرب على مواجهة التحدي في هذا الوقت  
القصير .. وهذا موقف سلبي لا يسمح باعطاء  
صورة دقيقة واضحة لحقيقة الوضع . فالمؤرخ  
« فازلييف » ، وهو حجة في التاريخ البيزنطي ،  
يقول في فصل عقده عن العلاقات البيزنطية  
الاسلامية بأن العرب عند الفتح « لم تكن لهم أي  
خبرة في الشؤون البحرية . » وكتب الأستاذ  
« أرشيبالد لويس » في دراسته للقوى التجارية  
والبحرية في البحر الأبيض المتوسط يقول :  
« .. على أن الجدير بالنظر هو أن العرب  
كانوا أهل بر وأهل بداءة ، وأنهم كانوا في أول  
أمرهم غير مستعدين ولا راغبين في مواجهة البحر  
في وقتها . وبظهر خوفهم من البحر بأجلى صورة  
في مراكز الحكم التي أقاموها .. »  
وأول ما يستشهد به المؤرخون على « عدم  
رغبة » العرب في ركوب البحر رد الخليفة  
عمر بن الخطاب على معاوية بن أبي سفيان  
عندما طلب هذا الأخير أن يأذن له الخليفة  
في غزو بلاد الروم بحراً قربها منه ، فكتب عمر





الى معاوية يقول :

« لا والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه (أي البحر) مسلما أبدا . انا سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شيء على الأرض ، يستأذن الله في كل يوم وليلة أن يفيض على الأرض فيغرقها ، فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر المستعصب ؟ وتالله لمسلم أحب الي مما حوت الروم ، فإياك أن تعرض وقد تقدمت اليك ، وقد علمت ما لقي العلاء مني ، ولم أتقدم اليه في مثل ذلك . » ثم هناك نص أورده ابن خلدون في مقدمته يعلل فيه لماذا امتنع العرب في سنوات الفتح الأولى من ركوب البحر ، يقول فيه :

« والسبب في ذلك أن العرب لبدوتهم لم يكونوا في أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه ، والسروم والافرنجة لممارستهم أحواله ومزاياهم في التغلب على أعواده ، مرتوا عليه فأحكموا الدراية بثقافته . فلما استقر الملك للعرب ، وشمخ سلطانهم ، وصارت أمم البحر خولا لهم وتحت أيديهم . وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته ، واستخدموا من النوتية في حاجاتهم البحرية أمما ، وتكررت ممارستهم البحر وثقافته استحدثوا بصراء بها ، فتأقت نفوسهم الى الجهاد فيه ، فأنشأوا فيه السفن والشواني ، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر المقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم

ما كان أقرب الى هذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقية والمغرب والأندلس . »

أما النص الأول ، وهو رد الخليفة عمر على معاوية ، فلا ينفي خبرة العرب في ركوب البحر ، ففيه اشارة الى ما لقي منه « العلاء بن الحضرمي » الذي كان قد ركب البحر لغزو فارس ، فعنفه الخليفة على ذلك وعزله . ولا ينفي كذلك رغبة الفاتحين في ركوب البحر . ويكفي للتدليل على هذا ، الغزو البحري الذي قام به العرب في عهد الخليفة عمر ، والخاص معاوية عليه بالسماح له في غزو الروم .

أما نص ابن خلدون ففيه تعميم لا يؤيده التاريخ . اذ لم يكن جميع العرب عندئذ أهل بدواة . وكان أهل السواحل منهم قد ركبوا البحر منذ عدة قرون . ويرجح « آلن فليز » صاحب كتاب « قصة المحيط الهندي » أن الصيادين من العرب على شواطئ المحيط الهندي هم الذين أنشأوا فن الملاحة . ويضيف الى هذا قوله :

« لم تكن هناك أنهار (أمام الصيادين) على السواحل الجنوبية لبلاد العرب وغيرها من البقاع . وكانوا على معرفة تامة بطبيعة الفصول . وكان بينهم من عرفوا شيئا عن انتظام سير النجوم . ولا بد لمن يقضي مدة هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية على تلك السواحل أن يلاحظ كيف تتألف النجوم ، فهي تكاد تجبر أشد الجاهلين بالفلك

غباء على الاهتمام بها . وإثارة الاهتمام تؤدي الى المعرفة ، والمعرفة يمكن استخدامها لهداية القوافل في الصحراء وإرشاد السفن في البحر . » صاحب كتاب « الطواف حول البحر الأريثري » ، وهو مؤلف يوناني مجهول من القرن الأول للميلاد ، أراد لكتابته أن يكون دليلا ومرشدا لشؤون الملاحة في المحيط الهندي ، فيقول عن ساحل أفريقيا الشرقي :

« ويعيش على هذا الساحل أناس اعتادوا القرصنة ، وهم ذوو قامات شامخة ، ويحكم كل منطقة رئيس مستقل عن غيره . ويحكم الرئيس « المعافري » استنادا الى حقوق قديمة تجعل منطقتهم خاضعة لسلطان دولة صارت صاحبة الهيمنة في بلاد العرب . وأهل مخا يحكمونها الآن ، ويرسلون اليها سفنا ضخمة مستخدمين قباطنة ووكلاء عرباً لهم معرفة بالسكان وبالساحل كله ، ويفهمون اللغة . »

وهذه اشارة من أقدم الاشارات الى قدم الملاحة عند العرب والى سيطرة قبيلة « معافر » اليمنية على منطقة من ساحل أفريقيا الشرقي . ويورد الأستاذ « جواد علي » في كتابه عن « تاريخ العرب قبل الاسلام » شاهدا يدل على أن أهل تدمر اشتغلوا بالملاحة في البحر ، فيقول : « عثر على كتابة دونها جماعة من أهل تدمر اشتغلت بالملاحة في البحر الأحمر ، أشادت





بفضل القيصر هادريان (١١٧ - ١٣٨م) عليها . وتدل هذه الوثيقة على اشتراك التدمريين في الملاحة مع انهم من أهل مدينة صحراوية ، عماد حياتها التجارة بالبضائع الواردة إليها بالطرق البرية . الشواهد وغيرها كافية للتدليل على أن فن الملاحة لم يكن غريبا على العرب ، وعلى أنه ربما كان نشأ على سواحلهم . فغير هذا لم يكن ليتيسر لأهل سبأ ، الذين عرفوا مسالك البحر ، وتعرجات السواحل ، وسر الرياح الموسمية ، أن يحتكروا تجارة المحيط الهندي خلال القرون الثلاثة عشر الأخيرة قبل الميلاد .

إذاً كيف يمكننا تفسير تردد الخليفة عمر بن الخطاب في السماح للعرب بغزو البيزنطيين (الروم) في البحر ؟ ان الانتصارات الأولى الحاسمة التي أحرزها العرب على البيزنطيين والفرس في اليرموك ، والقادسية ، وبابلون ، لتكشف لنا عن استراتيجية وتحركات عسكرية كانت ملائمة لطبيعة المحارب العربي ومهارته ، وكفيلة بتفوقه على خصمه ، وتضع تحت سيطرته قلب البلاد . فلباسه وسلاحه لا يتقلان كاهله ، ويمكنانه من الانتقال على ظهر جملة من مكان الى آخر بسرعة مذهلة ، ومهاجمة العدو من كل جانب ، وقطع خطوط مواصلاته ، وخط رجعتيه . وكانت معرفته بالصحراء ، التي يجعلها من ورائه ، تضمن له سلامة الانسحاب فيما لو اضطر الى التراجع . أما في البحر فلم يكن الأمر كذلك ، وبخاصة في البحر الأبيض المتوسط ، حيث كان الأسطول البيزنطي مسيطراً . وعليه فكان من الحكمة أن يترث العرب في مواجهة أعدائهم في البحر . ومن المعروف عن الخليفة عمر الاتزان ، وتجنب المغامرة بأرواح المسلمين ، حيث لا ضرورة للمغامرة .

وتبدو حكمة الخليفة الثاني في هذا الأمر بأوضح صورة من موقفه حيال إعادة فتح القناة الفرعونية القديمة التي كانت تصل النيل عند بابلون بالبحر الأحمر عند القلزم (السويس الحالية) وذلك لتسهيل نقل قمح مصر الى المدينة المنورة . وكان الامبراطور « تراجان » قد أعاد فتح القناة ، ولكنها طمرت بالتراب بعد ذلك . وفي عام ٦٤٤م سمح الخليفة لعمر بن العاص بإعادة فتح القناة ففتحت ، وقامت عشرون سفينة بنقل المؤن الى الحجاز . فلما استأذنه عمرو بن العاص بشق قناة أخرى تصل بحيرة التماسح

بالبحر الأبيض المتوسط شمالا ، لم يأذن له ، وذلك لخوفه من أن يستخدمها الأسطول البيزنطي للعبور واعتراض طريق الحج ، فضلا عن تهديد مصر .

على أن العرب لم يلبثوا أن أدركوا أن مجابهة البيزنطيين في البحر ضرورة ملحة قد يتوقف عليها مصير بعض فتوحاتهم . ففي سنة ٦١٥م وجه الامبراطور « قنسطانز » الثاني حملة بحرية بقيادة « مانويل » لاستعادة الاسكندرية ، ويقول البلاذري في هذا الصدد :

« وكتب الروم الى قسطنطين بن هرقل ، وهو كان الملك يومئذ ، يخبرونه بقلعة من عندهم من المسلمين . وبما هم فيه من الذلة وأداء الجزية ، فبعث رجلا من أصحابه يقال له مانويل في ثلاث مئة مركب مشحونة بالمقاتلة . فدخل الاسكندرية ، وقتل من بها من روابط المسلمين الا من لطف للهرب ، فنجوا . وذلك في سنة خمس وعشرين للهجرة . »

واستطاعت هذه الحملة فعلا أن تستعيد الاسكندرية . فحاولت أن تتخذها قاعدة للتوغل في مصر . على أن العرب ، بقيادة عمرو بن العاص ، تمكنوا من ائزال هزيمة شعاء بمانويل عند « نيقوس » . وتمكنوا بالتالي من انقاذ الاسكندرية . وكان الامبراطور البيزنطي قد أرسل في الوقت ذاته ، وخلال ولاية معاوية ، حملة بحرية أخرى الى الشام ، ولكنها منيت بالفشل .

هذا الخطر البحري البيزنطي المائل عاد معاوية يلح على الخليفة عثمان بن عفان بضرورة غزو جزيرة قبرص لقرىها وسهولة الأمر فيها . فتردد الخليفة عثمان في البداية ، ثم أذن له على شرط أن يصحب معه امرأته . وكان معاوية في سوريا وعبد الله بن آل سرح في مصر قد استغلا موافقة سوريا وأحواض السفن في الاسكندرية وخبرة أهل البلاد في بناء السفن ، فعملا على بناء أسطول اسلامي لأغراض الدفاع والغزو .

وكانت استجابة العرب لهذا التحدي البيزنطي الكبير في وقت قصير كهذا ، عملا راعيا ينبغي أن ينال من اهتمام المؤرخين قدرا أكبر من تردد العرب في ركوب البحر . ففي سنة ٢٨ للهجرة ركب معاوية البحر من عكا ومعه امرأته فاخنة بنت قرظة . فطلب إليها الصلح ، فصالحهم معاوية على سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدونها في كل عام . واشترط المسلمون على أهلها ابلاغ

العرب عن استعدادات البيزنطيين وتحركاتهم . فلما نقض أهل هذه الجزيرة الصلح ، عاد معاوية فغزاها مرة أخرى وفتحها عنوة ، ثم أمن أهلها على صلحهم .

هذه الحملة البحرية على قبرص ايدانا باستهلال فصل جديد في تاريخ الملاحة في البحر الأبيض المتوسط والسيادة عليه ، كما كانت فاتحة لسلسلة من الانتصارات البحرية العربية نشرت هيمنتهم على أكثر سواحلها ، وبعثت فيهم الحماسة للسيطرة على السواحل الباقية . ولم يفت البيزنطيين هذا التهديد الخطير من عدو عقد العزم على الاستيلاء على بلاده . ففي عام ٦٥٥م أعد الامبراطور « قنسطانز » الثاني أسطولا ضخما مكونا من نحو ١٠٠٠ سفينة ، والتقى به مع سفن سوريا ومصر الاسلامية في معركة « ذات الصواري » على ساحل ليريا من آسيا الصغرى قرب مكان يعرف بـ « فينكس » ، استبسل فيها المسلمون واستخدموا فيها فنا جديدا في القتال البحري ، اذ ربطوا سفنهم بسفن العدو ، ووثبوا على أعدائهم يضربونهم بالسيوف . وانتهت المعركة بأول نصر كبير للعرب في البحر . ويورد الطبري رواية عن مالك بن أوس بن الحدادان يصف فيها هذه المعركة ، فيقول :

« .. كنت معهم ، فالتقينا في البحر . فنظرنا الى مراكب ما رأينا مثلهما قط . وكانت الرياح علينا ، فأرسلنا ساعة ، وأرسلوا قريبا منا . وسكنت الرياح عنا ، فقلنا : الأمن بيننا وبينكم . قالوا : ذلك لكم ، ولنا منكم . ثم قلنا : ان أحببتهم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم ، وان شئتم فالبحر . قال : فنحروا نخرة واحدة ، وقالوا : الماء .

فدنونا منهم ، فربطنا السفن بعضها الى بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضاً على سفننا وسفنهم ، فقاتلنا أشد القتال . وثبت الرجال على الرجال يضطربون بالسيوف على السفن ، ويتواجثون بالخناجر ، حتى رجعت الدماء الى الساحل تضربها الأمواج ، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما . »

وبهذا الانتصار الكبير فرض العرب وجودهم البحري في البحر الأبيض المتوسط ، وانصرف البيزنطيون عن مهاجمتهم في البحر . ولم تكد تمضي سنين قلائل حتى استأنف العرب في أيام معاوية صراعهم مع البيزنطيين بحملة بحرية عظيمة استهدفت القسطنطينية عاصمة البيزنطيين ، وهددت وجود دولتهم بالزوال ■



# من يرح الأُمومة

للشاعرة جليظة رضا



ومن مداد دمي ... من قلبي الناري  
قد حطمته يدي في ليل أقداري  
أو أحرم الحب من عظمي وإشاري  
حتى يرى أفقه في ظل أبصاري  
ومن دعائي والخاني وأشعاري  
فيمحو الرسم في لطم وتزآر  
من الوفاء ومن عزمي وأصراري  
ولم يعد فيه من عيب وأوزار  
حتى يبرح بأشواقني وأسراري  
وأنت لمن حياتي .. أنت قيثاري  
وأرشف السمع كي أحظى بأخبار

وظللت غفوة عيني بإنكار  
يتندى عيرا فمن ورد وأزهار  
رما تسم لي .. يا قدرة الباري  
خفر العذارى .. وحسن هادي ساري  
سر الملائك من طهر وأنوار  
وتنثر السورد كفتاها بمدار  
جداول الماء في تيار أنهار  
حولي متممة في همس أطياف  
ولا جمال يحاكسي حسني العاري

ولهي ... أمّح في حمد واكبار

من نبع قلبي ومن دمع الهوى الجاري  
رسمت «لوحة حب» كان من زمن  
ولم أشأ أن أراعي في الهوى لثما  
فجنته بضيا عيني وبهجتها  
ورحت أرسم تاجا فوق هامته  
وخشية الريح أن يمتد ساعدها  
أحطته باطار صفت أضلعه  
واذ بدا الرسم تباها برونقه  
عوذته بدعاء الروح بارئها  
وقلت «عدّ لي فان النفس موحشة  
ورحت أرقب رسمي فوق «لوحتنه»

وران صمت على الأجواء متشر  
ثم اتبعت فإذ بالضوء منهمر  
وراعني ما رأت عيني في دغش  
رما تبدل أنثى في ملامحها  
أنثى لراءت كأن الله أودعها  
تقطر النور تقطيرا جدالها  
وتحت أقدامها تجري مليلة  
ثم انتت بجناحها مرفرفة  
«أنا الأمومة لا حب يجابهنى

وحينذاك خفضت الطرف خاشعة



# الملاح في جامعة الرياض



هيكل عظمي لحوت ضخم لفظته أمواج الخليج العربي وقام بتجميع عظامه وتركيبها قسم  
الحيوان التابع لكلية العلوم بجامعة الرياض . ويبلغ طول هذا الهيكل نحو ٤٨ قدما .



**شعر** الموسوعات العلمية في تعريفها  
 « للمتحف » على أنه منشأة علمية  
 وثقافية تضم بين أركانها كنوز المدينات والحضارات  
 القديمة ممثلة في روائع الآثار والفنون . والهدف  
 من هذه المنشأة هو عرض التراث الانساني ونفائس  
 الآثار في شكل معروضات وصور تعكس مظاهر  
 التقدم العلمي والصناعي والفني التي حققها  
 الانسان على تعاقب الأجيال بأساليب عرض  
 جذابة . ويعتبر المتحف معهد بحث ودراسة  
 وتثقيف للباحثين وغيرهم .

وانطلاقاً من هذا التعريف ، وإدراكاً للفائدة  
 العميمة التي تعود بها المتاحف على الفرد ،  
 وتماشياً مع الفهم العلمي الجامعي السائد في معظم  
 أرجاء العالم ، تأسست في جامعة الرياض خمسة  
 متاحف ، ثلاثة منها في كلية العلوم ، وهي :  
 متحف النبات ، ومتحف الحيوان ، ومتحف  
 الجيولوجيا ، واثنان في كلية الآداب ، وهما :  
 المتحف الأثري لجامعة الرياض ، ومتحف التراث  
 الشعبي . وقد أنشئت هذه المتاحف لتكون مؤسسات  
 علمية ثقافية تستقبل طلاب الجامعة وعموم  
 الدارسين والزوار ، وأمكنة حارزة تحفظ فيها  
 نفائس الآثار والتحف ، خشية أن تمتد إليها  
 يد العبث والبلبلى .

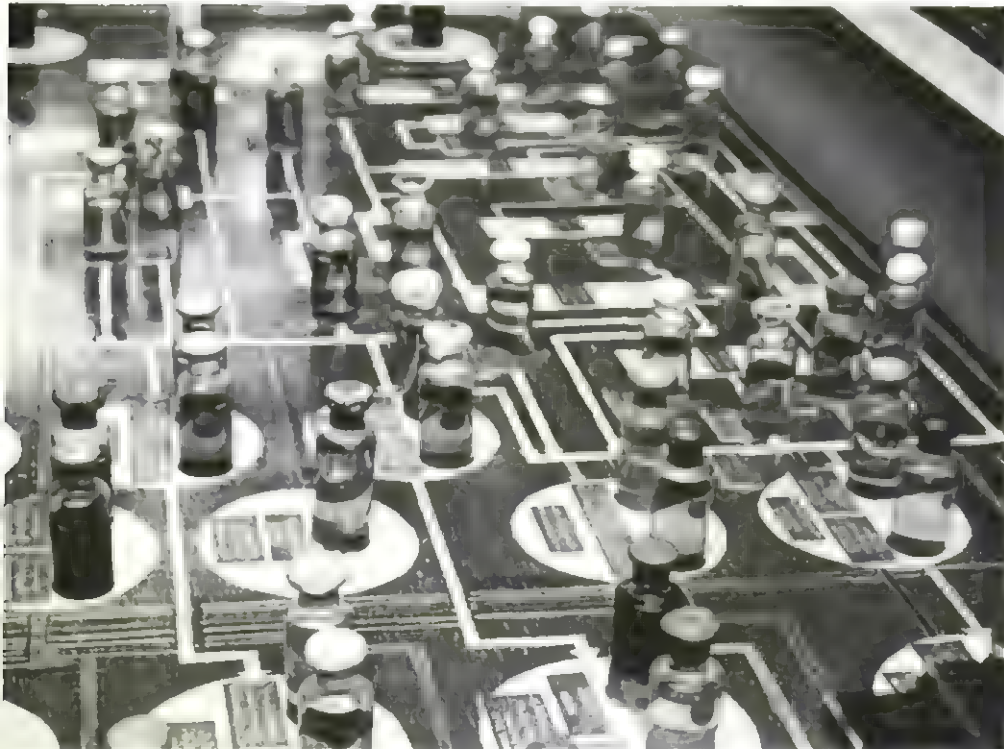
ومع أن هذه المتاحف حديثة العهد ، شأنها  
 في ذلك شأن الجامعة التي ترعاها ، إلا أن  
 النية تتجه الى توسيعها وتطويرها بحيث تواكب  
 في المستقبل القريب مثيلاتها في كبريات جامعات  
 العالم .

## متحف النباتات

ويعنى به قسم النبات في كلية العلوم ،  
 وهو يضم بالإضافة الى غرفة العرض معشبة  
 حديثة يرعاها رئيس القسم الدكتور أحمد محمد  
 مجاهد . وقد نشأ متحف النبات في الجامعة مع  
 نشأة كلية العلوم أي منذ نحو عشر سنوات  
 تقريباً ، وتضم غرفة العرض خزائن ورفوفا خاصة  
 بكل نوع من المعروضات ، وهي ذات واجهات  
 زجاجية تتيح النظر الى المعروضات دون لمسها .  
 وتشمل عينات المعروضات النباتية : الفطريات ،  
 والبكتيريا ، والثمار ، والأزهار والبذور ، والبوارد ،  
 والأوراق ، والسيقان والجذور ، والطحالب ،  
 والنباتات الاقتصادية ، والمستحاثات (المتحجرات)  
 النباتية ، والأمراض النباتية التي تصيب مختلف  
 أصناف النباتات .



جانب من غرفة العرض التابعة لمتحف النبات وهي تشمل عينات نباتية لمختلف  
 أنواع الفطريات والبكتيريا والثمار والبذور والمستحاثات النباتية وغيرها .



عشرات من عينات المنتجات البترولية التي تنتجها المملكة العربية السعودية .



مجموعة من البرمائيات والحيوانات المنقرضة وخرافانسة التي يحويها متحف الحيوان بمدينة الرياض ، في جانب لوحات تفصيلية تبين أصدافها وفصائلها .  
مجموعة من أصداف الطيور والحيوانات التي يشمل عليها متحف الحيوان في الجامعة .





الحصول عليها . وتقوم هيئة التدريس في الكلية بتصنيف كافة عينات المتحف ، وتكتب المعلومات المتعلقة بكل عينة منها على بطاقة خاصة بها . ويتعاون متحف النبات في جامعة الرياض مع صنوه في جامعة القاهرة . اذ يتبادل المتحفان بعض العينات التي تتوفر لدى الواحد منها دون الآخر . ويعكف قسم النبات في كلية العلوم على توفير مجموعة كاملة لأصناف النباتات التي تنمو في المملكة لدراستها والتعريف بها . ويعتبر ذلك على غاية من الأهمية ، لأن مثل هذه المحاولة ربما تكون الأولى من نوعها بالنسبة للحياة النباتية في المملكة العربية السعودية .

مختلفة من المملكة ، فالطحالب مثلا تجمع من البحر الأحمر والخليج العربي ، وتصبر بحفظها في محاليل من « الفورمالين » المخفف أو الكحول المخفف ، كما تجمع من كافة مناطق المملكة عينات من مختلف النباتات التي تنمو فيها . وفي حالة إصابة بعض النبات بأمراض فطرية أو حشرية ، تجمع عينات من النباتات المصابة وتحفظ لدراسة أعراض هذه الأمراض . أما عينات النباتات الاقتصادية ، وهي النباتات البرية ذات الفوائد الاقتصادية ، كالنباتات التي تستخرج منها العطور والسموم والعقاقير ، فانها تجمع لدراستها وتحديد أصنافها ، وأماكن

وتضم غرفة العرض مجاهر دقيقة ، ومجسمات مصنوعة من الجبس واللدائن لعينات من نباتات مختلفة أو لأجزاء منها ، وملصقات نباتية تفصيلية . أما المعشبة فغرفة أصغر من غرفة العرض ، وهي تضم خزائن ذات رفوف فسيحة تحفظ فيها عينات من مختلف النباتات الزهرية البيئية مجففة على صفائح ورقية ، بطريقة خاصة ، وتشمل هذه العينات معظم نباتات المملكة الزهرية مرتبة حسب أصنافها وفصائلها وأماكن نموها .

ويقوم بجمع العينات المعروضة في متحف النبات والمعشبة المحققة به أساتذة الكلية وطلاب السنة الرابعة فيها أثناء زيارات تعدها الكلية لمناطق



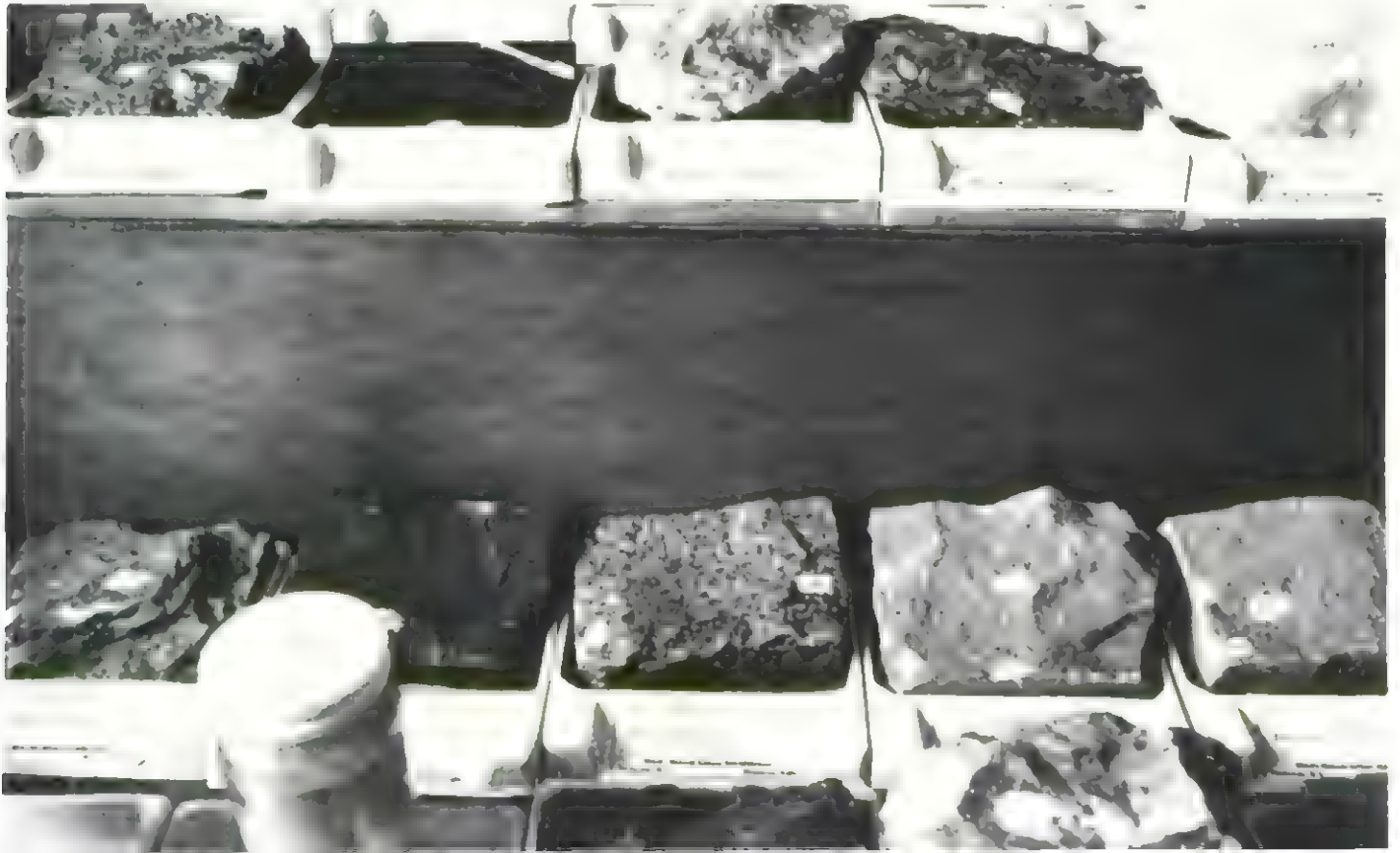
بعض أصناف الطيور المحلية التي تضمها رفوف متحف الحيوان .. وقد بدت الى جانب كل عينة منها بطاقة تحمل اسم الطائر والفصيلة التي ينتمي اليها وبعض المعلومات الأخرى .





احدى قاعاتى العرض التى يتألف منها متحف الجيولوجيا من جامعة الرياض وهى تشمل عينات من منتجات الزيت الى جانب عينات من الصخور والمتحجرات التى تكشف عن أصل الزيت ومراحل تكويته فى باطن الأرض . كما يبدو فى أقصى اليمين ، نموذج مجسم لمكامن زيت يعلوه برج للحفر .

مجموعة من عينات الصخور والمتحجرات التى يضمها متحف الجيولوجيا ، وتحمل كل عينة من هذه العينات أرقاماً وتسميات تساعد الباحث على التمييز بين أنواعها والأزمنة التى تعود إليها .







نماذج أخرى من المعروضات الجيولوجية التي تحويها قاعة العرض في متحف لحيويجي .

## مُتَحَفُ الْحَيَوَانِ

ويعنى به قسم الحيوان في كلية العلوم أيضا برئاسة الدكتور عباس ابراهيم حسن . وقد تأسس هذا المتحف مع بداية الدراسة في كلية العلوم . ويضم المتحف اليوم خبيرا في التصوير وتصميم بيئات اصطناعية للعينات ، مما يجعلها تبدو أكثر جاذبية وأجمل تنسيقا .

وتضم رفوف المعرض وخزائنه عينات كثيرة من الشعاب المرجانية المختلفة الألوان والأشكال ، والعديد من صنوف الأسماك المحلية والحيوانات البحرية المجلوبة من الخليج العربي والبحر الأحمر . هذا بالإضافة الى عينات عديدة من

لفظته في أوائل عام ١٩٦٥ عند ميناء رأس تنورة .

ويحصل قسم الحيوان على عينات المتحف اما من حديقة الحيوان في الرياض ، وذلك عندما يموت أحد الحيوانات فيها ، أو من بعض هواة الصيد والقنص .

ويغزم القائمون على المتحف على اجراء مسح للثروة الحيوانية في المملكة ، وتزويد المتحف بما ينقصه من العينات . كما أنهم يبذلون جهودا كبيرة في مجال تصنيف العينات وتسميتها . وفي كثير من الحالات يستعينون بخبراء المتاحف والجمعيات العلمية في مختلف أقطار العالم في سبيل تحقيق ذلك .

أنواع الزواحف والطيور والحشرات الثديية الموجودة في شتى مناطق المملكة . كما يضم المتحف هياكل عظمية أو مجسمات لياكل عظمية لعديد من الحيوانات المنقرضة وغير المنقرضة ، الى جانب لوحات تفصيلية تمثل بعض الحيوانات أو أجزاء منها . وتحفظ الزواحف وبعض الحشرات في أوعية زجاجية مملوءة بمحلول « الفورمالين » المخفف ، كما تحفظ أصناف من الفراش والحشرات الأخرى على صفائح من الورق المقوى ثم تغطى بالزجاج .

وقد قام قسم الحيوان في كلية العلوم بتجميع عظام حوت ضخمة يبلغ طوله ٤٨ قدما كانت أمواج الخليج العربي قد



ليكون متحفا يعكس العصور التاريخية التي تعاقبت على الجزيرة العربية ، ومنتجها علميا يومه دارسو الآثار وهوانها والمعنون بها . ويجري العمل الآن على تصنيف موجوداته وتنظيمها ، وردها الى مختلف العصور التاريخية .

ويضم المتحف حاليا عينات كثيرة لمنقوشات حجرية تحمل كتابات متنوعة ، وعينات فخارية ومسكوكات نقدية . كما يضم من ناحية أخرى مختبرا لتصوير القطع الأثرية بغية دراستها وتصنيفها ومبادلتها بصور القطع الأثرية التي تحتفظ بها المتاحف الأخرى المماثلة . ويضم أيضا قسما لترميم القطع الأثرية وصيانتها والحفاظ عليها . وسيقوم هذا القسم بصنع نماذج مجسمة من الجبس لبعض القطع الأثرية الهامة ، في حين يقوم قسم الرسم والزخرفة في المتحف بدراسة بعض القطع الأثرية وتصميم رسوم لها . وتصنيف هذه الرسوم وفقا للأزمنة والعصور التاريخية التي تمثل مختلف القطع الأثرية . ويضم المتحف قسما للمسح الأثري يعني بتنظيم رحلات دورية علمية الى مناطق المملكة الأثرية لتحديد لها وتصميم خرائط أثرية لها . وبالإضافة الى ذلك تتبع متحف الآثار مكتبة تضم مختلف الكتب والمراجع التي تبحث تاريخ الجزيرة العربية والشرق الأوسط وآثارها .

هذا ، ويحتل المتحف جزءا كبيرا من الطابق الأرضي في المبنى الرئيسي لكلية الآداب ، وهو مزود بخزائن خاصة للعرض مصفحة بزجاج غير عاكس للضوء . ويشرف على المتحف الدكتور عبد الرحمن الانصاري ، ويساعده الدكتور صبحي أنور رشيد ، وكلاهما من أساتذة قسم التاريخ في كلية الآداب .

أما مصادر عينات هذا المتحف فمتعددة . ولعل أهمها إدارة الآثار التابعة لوزارة المعارف . التي أمدت المتحف بالعديد من القطع الأثرية . وقد اشترت الجامعة نحو ٤٠٠ مسكوكة نقدية من مجموعة السيد محمد الفارس ، أحد أعيان القطيف ، وكثيرا من النقوش والقطع الفخارية ، كما اشترت بعض القطع التي تحمل نقوشا وكتابات اسلامية من السيد مبارك السلمي من أهالي جدة . وتقوم بشراء مجموعات من القطع الأثرية النادرة من أشخاص غيرهما . وبالإضافة



نماذج لعينات من مختلف أصناف التربة التي يضمها متحف الجيولوجيا .

نارية ورسوبية ومتحولة ، ومجسمات لمقاطع جيولوجية وصخرية وبعض هياكل الحيوانات . كما يضم عينات حجارة البناء والزخرفة . وعينات من مختلف أصناف التربة في شتى مناطق المملكة . وينظم قسم الجيولوجيا شأنه شأن غيره من أقسام كلية العلوم ، رحلات علمية الى مختلف مناطق المملكة بغية دراسة جيولوجيتها . وجمع عينات منها تشمل الصخور والمتحجرات والتربة . ثم تصنف هذه العينات وتحفظ حسب أهميتها بين معروضات المتحف الأخرى .

والمتحف مزود بآلة لقطع الصخور . وهو وان كان حديث التأسيس الا أنه يعطي الزائر فكرة وافية عن جيولوجية المملكة العربية السعودية وتركيب طبقات الصخور فيها .

## مُتَحَفُ الْأَثَارِ

وهو حديث عهد بالمقارنة بمتاحف كلية العلوم . اذ تأسس بعد عودة المبعثين السعوديين المتخصصين بالتاريخ والآثار الى الجامعة في عام ١٩٦٦ .

ويفتح متحف الحيوان في جامعة الرياض أبوابه لطلبة كلية العلوم ولكافة المعنيين بدراسة علم الحيوان .

## مُتَحَفُ الْجِيُولُوجِيَا

ويشرف عليه قسم الجيولوجيا في كلية العلوم أيضا برئاسة الدكتور ابراهيم فرج . وقد تأسس هذا المتحف منذ نحو عشر سنوات . كرتست السنوات الثلاث الأولى منها لجمع العينات الصخرية التي تمثل مختلف العصور الجيولوجية ، من كافة أنحاء المملكة . وأثناء ذلك ، كان القسم يستعين بعينات ادارة التقيب في شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) لتصنيف عيناته وترتيبها والتعرف الى الميهم منها مع اعطاء المعلومات الوافية عنها .

ويضم متحف الجيولوجيا قاعتي عرض واسعتين مزودتين بخزائن ذات واجهات زجاجية . وتشمل مصنفات المتحف عينات تمثل العناصر الكيماوية والمعادن وصخور الحقب الجيولوجية المختلفة من

## متحف التراث الشعبي

وهذه المعروضات منظمة ومصنفة جغرافيا ونوعيا ، بحيث تعكس المعلومات المتعلقة بها .

ويتم الحصول على هذه العينات التي تعكس التراث الشعبي على شكل هدايا يقدمها بعض المواطنين للمتحف ، أو عن طريق شرائها من الأسواق المحلية أو الأفراد . ويفتح متحف التراث الشعبي أبوابه بالإضافة الى طلاب جامعة الرياض لكافة الدارسين والزوار ممن يعنون بالحياة الشعبية والتراث الشعبي للمملكة العربية السعودية .

ان متاحف جامعة الرياض لا تزال ناشئة ، ولكنها براعم نامية متفتحة لمنشآت علمية وثقافية تمد قوافل العابرين على دروب النور برصيد وافر من العلم والمعرفة .

محمد حسن

وهو يقع الى جانب متحف الآثار في المبنى الرئيسي لكلية الآداب ، وقد تأسس عام ١٩٦٦ بغية الحفاظ على التراث الشعبي ، ودراسة مختلف عيناته وتصنيفها .

وتشمل موجودات هذا المتحف عينات من الأزياء الشعبية والمجوهرات والأدوات المنزلية ، والزراعية ، وأدوات السقيا ، والمفارش ، والبسط ، والأدوات الجلدية ومعدات الحرب ، وصناعة الخوص والسعف والجريد والزرني والصوف وغير ذلك . كما تشمل لوحات تمثل مختلف نواحي الحياة الشعبية للمملكة ، وصورا فوتوغرافية مماثلة .

الى ذلك ، يقوم طلاب كلية الآداب وأساتذتها برحلات استطلاعية الى مناطق أثرية مختلفة من المملكة ، وكثيرا ما يعودون من هذه الرحلات ببعض القطع الأثرية ، فتتظف وترمم وتصنف ، وتضاف الى معروضات المتحف .

ومن ناحية أخرى ، استعانت الجامعة عند تأسيس هذا المتحف ، وما زالت ، بمديرية الآثار العراقية ودائرتي الآثار السورية والأردنية ، لما لدى هذه الجهات من خبرة طويلة في حقل الآثار . كما يحظى المتحف بتشجيع من قبل عدد من علماء الآثار البارزين ، وخصوصا الأوروبيين الذين أهدوا مكتبته نسخا من مؤلفاتهم ومجلاتهم الدورية .

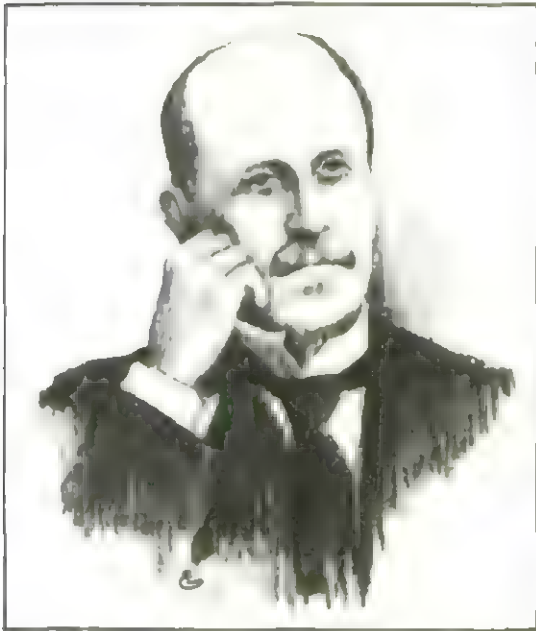


جانب من إحدى قاعاتي العرض التابعتين لمتحف الجيولوجيا ، والمزودة بخزائن ذات واجهات زجاجية تتيح للزائر النظر الى المعروضات دون لمسها . تصوير : عبد الطيف يوسف



# الدكتور يعقوب صروف

## قبر من فضله وفرو من ذكريات عبته



بقلم الأستاذ محمود أبو ربة

نبيلة ، وكله بعلم غزير لا ينضب معينه - ومن تمام فضله عليه أن يسر له سبيل الحياة وكفاه مؤونة السعي لعيشه فكانت عيشته رغدا - وبذلك يتفرغ لعمله هادئ البال ، مستريح النفس ، مطمئن القلب ، لا يشغله شاغل عن القيام بما ألقى على عاتقه على أكل وجه ، وليوفي به على الغاية . وهذه نعمة كبرى متى توفرت للإنسان كان من السعداء ، ذلك بأن المسغبة وضيق العيش يطفئان ، ولا ريب ، نور القريحة ، ويثدنان قوة العزيمة . ويدعونا سياق الحديث الى أن نذكر هنا حديثا سمعناه من صديقنا الشيخ عبد الرحمن البرقوقي رحمه الله صاحب مجلة « البيان » : حدثني هذا الصديق ذات يوم عما أصابه من ذهاب ثروته التي ورثها عن أبيه ، وكانت كبيرة ، في سبيل الانفاق على مجلته . وبعد بضع سنين أصابها البوار والكساد وخرج منها خاسرا - وبعد أن تنفس الصعداء قال : انه كان يوما في زيارة للدكتور يعقوب صروف وفي حديث بينهما قال الدكتور كلمة بلغت منه

على السبعين ، بله ملاحظها السنوية ، وكان كل ملحق منها يقع في مجلد ضخيم . لأن ذلك يحتاج الى دراسة مستفيضة تستغرق أعواما طويلة ، ويستوعب مجلدات عديدة - وانما سبيلنا أن نكتب كلمة موجزة نقص فيها ذروا نوميء به الى هذا الذي حمل أنقال هذه المجلة ورفع منارها طوال حياتها ، وهي أعباء تنوء بها العصبية أولو القوة ، والذي وقف حياته على امدادها بالمواد الخصبة ، والبحوث القيمة . ان انشاء مما تمدّه به قريحته الفياضة ، أو مما يختار من عصير قرائح فحول العلماء وكبار الكتاب ، وكان لا يختار الا كل نافع مفيد ويمزج ذلك ببعض ذكريات عنه . ذلك هو العلامة الكبير الدكتور يعقوب صروف الذي اقترن اسمه باسم (المقتطف) حتى أصبحا متلازمين كاللازم والملازم ، بحيث اذا ذكر اسم أحدهما سبق الى الذهن اسم الآخر . وكأن الله سبحانه قد فطره وأعدّه ليضطلع بهذا العمل الجليل فاتاه مواهب عالية وصفات

يريد أن يدرس تاريخ الحركة العلمية من جميع أقطارها - الأدبية والاجتماعية وما إليها من ألوان الثقافة الانسانية في العصر الحديث ، فلا بد له من أن يرجع الى أهم مصدر لكي يجد فيه طلبته ، ويعينه على الوصول الى بغيته . هذا المصدر هو مجلة (المقتطف) ، ذلك بأنها المجلة الوحيدة ذات العمر الطويل التي تعتبر ولا ريب دائرة معارف عربية شرقية ، فيها ما شئت من علم وفلسفة وما ابتغيت من لغة وأدب وفن . وقد صدق من قال فيها : انها كافية لتثقيف المرء . وان من لم يطلع عليها لا يعتبر مثقفا كاملا . وما رأينا اسما يطابق مسماءه أكمل مطابقة . من اسم (المقتطف) ، فقد اقتطف له من رياض العلوم والفنون ما نضج من ثمراتها وفاح أريجها من أزهارها ، وبحق سموها (شيخ المجلات) في الشرق كله . وليس من همتا اليوم أن نفصل القول في هذه المجلة وما اشتملت عليه مجلداتها التي تزيد

مبلغا أليما ، وتأثر بها تأثرا عميقا وهي حقا ذات أثر بعيد . أما هذه الكلمة فهي ذي بنصها « لو أنا فكرت دقيقة واحدة في أمر ما أتناوله من طعام أو شراب ما استطعت أن أكتب حرفا ! » ذلك بأن قرينته الفاضلة كانت تكفيه عناء التفكير في أي أمر يشغله وتوفر له الراحة والهدوء . والزوجة الصالحة من أكبر نعم الله على الانسان وتعتبر من سعادته .

## رابي

لأذكر هنا موقفا حميدا كان لي مع هذا العلامة الجليل ، دلّ فيه على أنه عالم مهذب كريم . ذلك أنني كنت قد لاحظت على مجلة المقتطف أنها كانت تقدم في النشر مقالات الآتية (مي) على مقالات الكاتب البليغ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله . فأخذتني الغيرة من ذلك على حرمة الأدب ، وكتبت اليه في ذلك وأبنت له فيما كتبت ، أنه ليس هناك مسوّغ لهذا التفضيل الذي لا تستحقه ! ثم عرضت الى الفرق المائل بين أسلوبها وأسلوب الرافعي وقلت أن أسلوبها تغشاه ظلمة الغموض والابهام ، وليس فيه أي لمعة من نور البيان ! ! وقد قالوا : « ان أحسن الكلام ما يكون جزلا سهلا ، لا يغلط معناه ، ولا ينهم مغزاه » . وكنت حينئذ (سنة ١٩٢٤) أتولى تحرير جريدة « التوفيق » وأسهم في تحرير جريدة « المنصورة » ، وكاننا تصدران بمدينة المنصورة ، وكذلك كنت أرسل جريدتي « المقطم » و« السياسة » ولم ألث قليلا حتى تلقيت منه جوابا رقيقا تاريخه ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٤ كان يسعدني أن أنشره هنا بكماله (١) ولكن المجال لا يتسع له وأكفي بنشر فقرات منه وفاء بحق التاريخ . قال طيّب الله ثراه في مفتتح هذا الخطاب :

حضرة الرصيف الكريم ، سلاما واحتراما وبعد فقد تلوت ما تكرمتم به ، وفيه أمران : الأول ، ترتيب المقالات ، فهذا يراعى فيه زمن ورودها . أو وصول يدي اليها اذا كانت عندي . فليس في تقديمها وتأخيرها نظر الى فاضل ومفضل ! والثاني . ما تكتبه الآتية (مي) ، وأنا أعرف كثيرين من الذين لهم الكعب الأعلى في الانشاء يجلبون قدرها ويمدحونها .

ولو كان غيره لأغفل الجواب عما يتصل بأسلوب (مي) لأنها كانت تتمتع بشهرة عظيمة ، ولها منزلة كبيرة ، والكلام في مثل ذلك يسوؤها ولا ريب ، وهو لا يرضى بذلك ولكن انصافه غطى على ذلك كله .

ويشاء ربك أن يؤيد رأيي في أسلوب (مي) بدليل آخر أبداه الدكتور يعقوب صرّوف نفسه بعد ذلك بربع قرن فقد نشر الأستاذ طاهر الطناحي في جزء شهر أكتوبر سنة ١٩٤٨ من مجلة الهلال ، أن الدكتور يعقوب صرّوف قال في رسالة الى (مي) أنها تفكر بلغة أوروبية قبل أن تعبّر عن رأيها بالعربية .

هذا الكتاب بزمن غير قصير أتيت لي فرصة طيبة زرت فيها الدكتور يعقوب صرّوف ، وكان مما جرى به سياق الحديث معه أن ذكر ما كان قد دار بيننا من قبل عن أسلوب (مي) وكيف أنني أقوى على الجهر بما قلت . وأنفرد بأن أستعلن به وحدي ، على حين أنها قد بلغت أوج مجدها الأدبي ! وإن العلماء والكبراء يعيشون دارها ، ويتسابقون الى زيارتها ويتزاحمون على موائدها وأجمعوا على فضلها ! فقلت له : ان هذا كله لا يجدي أمام الحقيقة . والاجماع الذي ذكرته لا يعتد به لأنه اجماع (عاطفي) ! وإن كل من يحسن ذوق البيان

ويميز أقدار الألفاظ بعضها من بعض ، وألوان دلالتها ، لا بد أن يرى في أسلوب (مي) مثل ما رأيت ، وأنت نفسك بعلمك وفضلك قد وافقتني على ذلك « - واستطرد من ذلك فسألني عن دراستي للأدب العربي ، ومن أي معهد تخرجت فقلت له : لقد تخرجت من معاهد الجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه وابن خلدون وغيرها من المعاهد القديمة ، ومن معاهد جمال الدين الافغاني والامام محمد عبده وحسين المرصفي وسواها . ولا أستطيع أن أحصي كل المعاهد التي تخرجت منها قديما وحديثا - وكلها بعيدة عن المعاهد الرسمية !

وهنا تصدّى لي أحد الجالسين معنا - غاب عني اسمه الآن - وكان مجلس صرّوف يغص دائما بكبار العلماء وقادة الفكر - وأظنه كان سوريا - وقد رأيته أعطي رأسي بعمامة فقال : ألم تدرس الأدب في الأزهر ؟ فأجبت : كلا .. ان الأزهر ليس فيه أدب ، ولا يميل الى دراسة الأدب .. ولعلك قد قرأت ما ذكره (المنفلوطي) في (نظراته) من أنه كان يخفي ما يكون معه من كتب الأدب عندما يدخل الأزهر ليتلقى دروسه خشية أن يناله من وراء ذلك أذى !

ومن أجل ذلك فانك تجد أن هذا المعهد العتيق على طول عمره لم يتخرج منه كاتب ولا شاعر ، وكل كتاب العصر وشعراته الكبار من غير الأزهر .

وما كدت أنتهي من قولي هذا حتى بدا التأثير والحسرة على الحاضرين وتولاهم العجب الشديد ! أما الدكتور يعقوب صرّوف فقد اكتفى بأن هزّ رأسه واتسم !

على اننا نرجو للأزهر في عهده الجديد أن يعنى بدراسة الأدب العربي دراسة كاملة ■

(١) تجد النص الكامل لهذا الكتاب على الصفحة ٩٣ من كتاب (رسائل الرافعي) الذي نشرناه في سنة ١٩٥٠ .

## الى رحمة الله

فقد عالم الأدب العربي قبل بضعة أسابيع اثنين من رواد الفكر والأدب وقفا حياتهما على خدمة العلم والعرفه . وهذان الرائدان هما الدكتور محمد مظهر سعيد والدكتور أحمد فؤاد الأهواني اللذان تركا وراءهما ذخيرة نفيسة من التأليف أثريا بها المكتبة العربية .. وقد أسهم الأدبيان الراحلان ، لسنوات طوال ، في تزويد القافلة بالكثير من انتاجهما القيم المتسم بطابع الأصالة والعمق .. تغمدهما الله بواسع رحمته جزاهما خيرا عما أسدياه للعلم من خدمات جليلة .

## نسلك

نظرا لحاجة مكتبة « قافلة الزيت » الشهيرة الى نسخ من أعدادها القديمة ، فإن هيئة التحرير تروج من قرائها الكرام ممن تتوفر لديهم نسخ اضافية منها يمكنهم الاستغناء عنها أن يبعثوا بها مشكورين الى القافلة التي ستقابل هذه اللقطة بتقديم هدايا رمزية . والقافلة اذ تتوجه بهذا النداء الى قرائها الأعزاء ، فانها تتطلع بثقة واخلاص الى تعاونهم وتجاوبهم معها في هذا المضمار .



# التكيف البشري

بقلم الدكتور فاضل عاقل

## السلوك الموروث والسلوك المكتسب

وأذا تركنا الجمادات جانباً ، ونظرنا في سلوك العضويات الحية ، ولا سيما الحيوانات ، وجدنا ان سلوكها على نوعين : السلوك الفطري الموروث ، والسلوك المكتسب أو المتعلم .

فالسلوك الموروث سلوك يولد مع المخلوق ، وهو قادر على القيام به دونما حاجة الى تعلم أو تعليم . فالطير يطير ، والنحل يعمل في جني العسل أو بناء الخلية دون حاجة الى تعلم أو تعليم ، ذلك بأن الطير قادر على الطيران ، ولو عزل عن باقي أفراد جنسه منذ ولادته ولم يعلم الطيران ، وفئات النحل تقوم بوظائفها المختلفة دون أن تعلم كيف تقوم بهذه الوظائف .

وأنت اذا نظرت في سلوك الانسان وجدت ان جسمه يقوم بأفعال حيوية مثل الهضم ، والتنفس ، ودوران الدم ، وهي أمور يقوم بها الجسم تلقائياً دونما تعلم ، كما وجدت عنده أفعالا مثل حركة بؤبؤ العين ، والعطاس ، والقواق ، وهي أفعال لا تحتاج الا الى قدر يسير جداً من التعلم . ثم وجدت عنده أفعالا أساسها جسدي فيزيولوجي مثل الأكل ، والشرب ، وإخراج الفضلات ، هي أفعال أساسها موروث ، ولكنها خاضعة

يحوي مادة حامضة لاحظت انه ينكمش ويتعد . فاذا ارتفعنا في سلم التطور نحو الحيوانات العليا وجدنا ان الحيوان يستقبل المؤثرات الواقعة عليه بشيء من الفهم والادراك ، ويستجيب لها بشيء من الذكاء والعقل .. فالكلب مثلاً يستقبل الغريب بالنباح ضده والهجوم عليه ، في حين يستقبل صاحبه بالتروّد له والتمسح به .

واذا ما وصلنا الى الانسان - أعلى المخلوقات في سلم التطور - وجدنا انه يستقبل المؤثر على نحو يختلف باختلاف الموقف ، واختلاف الشخص ، واختلاف الظروف ، الى آخر ذلك من العوامل الكثيرة التي لا حصر لها .

فالكلمة التي تصدر عن الأب يختلف تأثيرها عن الكلمة ذاتها حين تصدر عن الابن . والفعل الذي يصدر عن صديق يختلف تأثيره عن الفعل ذاته حين يصدر عن عدو ، وما يقال بلهجة معينة يفسر تفسيراً مختلفاً عما يقال بلهجة أخرى . وفي كل الأحوال فان أهم فرق بين الجمادات والأحياء هو ان الأولى تتلقى المؤثرات ، ولا تؤثر فيها ، أو تتدخل في عملها ، في حين ان الأحياء تحاول أن تكيفها لمصلحتها ، ويختلف هذا التدخل باختلاف مستوى التطور ، حتى يبلغ الأمر ذروته عند الانسان .

بين الجمادات والأحياء فرق واضح كبير ، فالمؤثرات المختلفة حين تقع على الجمادات تستقبلها هذه الجمادات بشكل سلبي ، ولا تستطيع أن تتدخل في عملها أو أن تغيرها . ومعنى هذا انك اذا صببت حامض الكبريت على قطعة كلس ، في أي زمان أو أي مكان فان الكلس يتفاعل معه بصورة حتمية .

والجماد لا يستطيع الا أن يقوم بما تقتضيه خصائصه . فاذا تعرض الحديد للحرارة انصهر عند بلوغ الحرارة درجة معينة . وهذا صحيح عن جميع المؤثرات الطبيعية والفيزيائية والكيميائية .

أما في عالم الأحياء فالأمور تختلف . سواء أكان الحي نباتاً أم حيواناً أم انساناً . والأحياء ، بصورة عامة ، تستقبل المؤثرات ، وتتدخل في عملها بمقدار يختلف باختلاف درجة الحي في سلم التطور .

فالنباتات تتدخل تدخلا بسيطاً ، ومن ذلك ما يدعى بحادثة الانتحاء ( Tropism ) أي اتجاه النبات نحو مصدر النور ، حين يعرض له . واذا ما ارتفعنا في سلم التطور ونظرنا في الحيوانات وحيدة الخلية « الأميب » رأينا ان الحيوان أكثر استجابة للمؤثرات من النبات وأكثر تدخلا في عملها ، بدليل انك اذا وضعت « الأميب » في وسط

للتعلم والتطور والتغير . كما وجدت عنده أفعالا مثل الميل الى التجمع ، وحب التملك ، وحب التفوق ، وهي أمور يشك العلماء في أن تكون مورثة بالمعنى البيولوجي . ويرجعون وراثتها عن العرف الاجتماعي . ووجدت أخيراً أفعالا وتصرفات تتصل بهذه الأمور السالفة الذكر ، ولكن الطابع الغالب عليها شخصي فردي ، وهي ، وان كانت ذات أصل بيولوجي أو اجتماعي ، فانها الى الفردية والشخصية أقرب . وهكذا نستطيع القول بأن السلوك الحيواني والسلوك الانساني يتشابهان في أن بعض مظاهرها موروث . والبعض الآخر مكتسب . والفرق بين الانسان والحيوان في ذلك ان الموروث عند الحيوان أغلب ، في حين ان المكتسب عند الانسان أوضح .

## التعلم

القدرة على الاكتساب نسميها القدرة على التعلم . والحق ان قدرة المخلوق على التعلم تزداد بازدياد ارتفاعه في سلم التطور ، فالقرد أقدر على التعلم والاكتساب من القط ، والحصان أقدر على التعلم من السمكة ، والانسان أقدر جميع المخلوقات على التعلم .

وينبئ العلماء الى أن القدرة على التعلم تعتمد على البناء العصبي للمخلوق ، فكلما ازداد تعقد الجملة العصبية ، وتطور تركيبها ، زادت قدرة المخلوق على التعلم . والجملة العصبية عند الانسان هي أعقد الجملات العصبية بين المخلوقات وأكثرها تطوراً .

وهذه القدرة المتزايدة على التعلم هي في الوقت نفسه مصدر تفوق الانسان على الحيوان ، وهي أيضاً سبب ضعفه في الفترة الأولى من حياته لطول طفولة الانسان بالنسبة لطفولة الحيوان .

ونحب أن نشير هنا الى ان هذه القدرة على التعلم هي أساس التكيف البشري ودعامه التربية والتعليم ، ذلك بأنه بدون هذه القدرة على التعلم لا يستطيع الانسان أن يتقدم ويتطور ويتكيف . كما نحب أن نشير الى ان هذه القدرة تكون كامنة

في الانسان ، وعليه أن يظهرها وينميها ويفيد منها في تقدمه ورفقه والسبر بعالمه نحو ما هو أفضل .

## الطفولة

الفترة التي تمضي بين ولادة المخلوق وبين انطلاق الوليد الجديد لمواجهة معترك الحياة الحقة تسمى « طفولة » . فالحيوانات الدنيا قادرة على مواجهة الحياة ومتطلباتها منذ اللحظة الأولى للولادة . وهي لا تحتاج الى تعلم واكتساب ، وانما تترت ما تحتاجه لتحقيق مطالبها . وأما الحيوانات العليا فتحتاج الى بعض الوقت لتلقي بعض التعليم البسيط الذي يقوم به الوالدان ، كلاهما أو أحدهما كي تستطيع مواجهة الحياة منفردة .

واذا أمعنا النظر لاحظنا ان مدة الطفولة تزداد بارتفاع المخلوق في سلم التطور . وهذا هو السبب في أن الطفولة البشرية هي أطول الطفولات ، حيث تمتد سنوات عديدة يزداد طولها بازدياد التقدم البشري ، فكلما تقدم الانسان في حضارته ، وارتقى ، طالّت طفولة أجياله الناشئة . وهذا صحيح في كل زمان وكل مكان ، حتى اننا نلاحظ ان الطفولة اليوم في المجتمعات الراقية تبلغ نحو ربع قرن . فالشاب في تلك المجتمعات لا ينزل الى معترك الحياة الحقيقي قبل أن يكمل تعليمه الجامعي وينال الاجازات العالية . وفي هذه الأثناء يكون مشغولاً بالتعلم واكتساب الخبرات التي تجمعت لدى مجتمعه ، كما يكون عالة على أهله ومجتمعه بغية تهيئته لحياته المقبلة خير تهيئة . والمجتمع يكون شأنه في هذا شأن الذي يستثمر ماله في مشروع صناعي أو تجاري ، ومن هنا كانت الطفولة والشباب والأجيال الصاعدة هي رأس مال الأمم .

واذا ذكرنا ان العمر المتوسط للانسان يبلغ ستين عاماً ، وان نحو نصف هذا العمر يتقضي في الاكتساب والتعلم ، أدركنا أهمية الطفولة البشرية ومعناها .

وهنا لا بد لنا من الانتباه الى بعض الأمور . وأولها كون الطفولة عند الشعوب البدائية قصيرة الأمد ، فالطفل البدائي يطالب بالقيام بأعمال تعود على المجتمع والأهل بالفائدة في عمر قد

لا يتجاوز السابعة أو الثامنة . والفتاة تطالب بالقيام بأعمال في البيت والحقل أو غير ذلك وهي ما تزال في ربيعها السابع أو الثامن .

وثانيها اننا اذا تركنا المجتمع البدائي وانتقلنا الى المجتمع المدني وجدنا فرقاً بين الأسر المحدودة الدخل والأسر الغنية ، فالطفل في الأسرة المحدودة الدخل قد ينتزع من طفولته ليطالب باداء أعمال وخدمات تعود عليه وعلى أسرته بشيء من النفع المادي ، في حين ان المجتمع الغني يسمح لأطفاله بطفولة قد تمتد الى وقت متأخر من العقد الثالث من العمر .

والأمر نفسه صحيح عن الفرق بين الأسرة المحدودة الثقافة والأسرة المتعلمة ، فالأسرة المحدودة الثقافة لا ترى جدوى لطول فترة الطفولة ، وتطالب أطفالها بأن ينطلقوا الى الحياة في سن مبكرة ، في حين ان الأسرة المتعلمة أو العارفة لقيمة التعليم تمنح أطفالها مدة أطول ينفقونها في التعلم والاكتساب والتهيؤ لمقبلات الأيام .

وقل الشيء نفسه عن المجتمعات والشعوب والأمم . حتى لنستطيع أن نقول ان رقي الشعب اليوم يقاس بطول مدة طفولة أولاده . وان لتزايد الخبرات البشرية واتساع آفاق المعرفة وتشعب مجالات الاختصاص أثر كبير في ذلك ، فالانسانية في هذا انما تهيء أجيالها الصاعدة لحياة أفضل تتميز بمزيد من المعرفة والخبرة والاتقان . وهكذا فاننا نلاحظ ان الانسان الذي زوده الخالق ، جل وعلا ، بقدرة كبيرة على التعلم ينفق في الغالب شطراً كبيراً من حياته في تلقي العلم والخبرة والمعرفة ، لينقل ، هو بدوره ، لأجياله اللاحقة خبرات ومعارف أكثر كية واتقاناً .

## التكيف

وبعد أن أشرنا الى حقيقة التعلم والاكتساب وطول الطفولة البشرية ننقل الى حقيقة أخرى تعتبر ركيزة من ركائز التربية وأساساً من أسس الحياة النفسية ، وهي عملية التكيف ( Adaptation ) .

ان الانسان القادر على التعلم والاكتساب والانسان الطويل الطفولة يواجه الحياة وما فيها من





# ساعة في الريف

للشاعر محمد علي السنوسي

والرمال والسمر والأفق الكحيل  
والهواء الطلق رفيف الديول  
وزهور وغدير وخمير  
حرّة من كل قيد وكبول  
سنت نفسي أحاديث الفضول  
حبة نملأ قلبي وسولي  
بلم المم وترياق العليل  
كنا القبلّة في الخلد الأسيل  
لوحة كبرى من الفن الأصل  
لاهبنا بمرح كالطفل الجميل  
وشعاع هائم بين الحقول  
رددي صوتي وغني بهديلي  
من صفاء الروح والهمم الجليل  
من تهاويمي وبحران ذهولي  
عقري الفن روحي الأصول  
يغمر النفس بفيض سلسيل  
غابت الشمس وقد آن قهولي  
أنني أودعت خلي وزميلي  
وحشة الليل وظلماء الأفول  
ناميا نهري وزهري وأميللي  
وندى في ظل واديك الظليل

ساعة في الريف في حضن السهول  
والفضاء الرحب مبسوط المدى  
بين أرض وسماء وريبي  
تلك دنيا سرح أفاقها  
أنا أشتاق إليها كلمنا  
طبعت في النفس منها صورة  
ساعة في الريف في ظل الشذى  
حيث نور الشمس في أصالها  
والسنا الشفاف في أجوالها  
والصبأ النشوان في أفيالها  
تلك دنيا أنا منها لفحة  
يا ربّي الوادي ويا كنبانه  
وامنحني ساعة صافية  
ان في صمتك معنى رائعا  
أي حن فيك جذاب الروى  
شاع في أسرار قلبي وجري  
يا ربّي الوادي ويا كنبانه  
أنا أودعتك سري والحقا  
لا تقول لي شاعر لم يحتمل  
فر من دنياي لما أظلمت  
أنا أحيا فيك طيفاً وشذى



# صيانة البترول والماء

ضمن آبار الزيت في المملكة العربية السعودية للعمولة لصيانة دورية لمنطقة تشمل اجراء فحوص دقيقة متنوعة بغية الحفاظ على مستوى الضغط فيها، وذلك لضمان استمرارية الزيت منها. ولما كان هذا الأمر على جانب كبير من الأهمية، أوجدت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) جهازاً خاصاً يضطلع بكافة خدمات الصيانة الضرورية للأبار النفطية، وآبار حقن الماء والغاز، وآبار ملحية ضغط الكامن وآبار الماء الواقعة جميعها ضمن منطقة الامتياز على اليابسة وفي المناطق المعزولة بمياه الخليج العربي.





السيد سعود سويلم رئيس وحدة اختبار الآبار يستعرض مع المشرف علي منصور الأدوات الخاصة بفحص حرارة بئر الزيت ومستوى الضغط فيها .

**المعروف** أن الزيت المستخرج من حقول المملكة العربية السعودية يتدفق تلقائياً بفضل ارتفاع ضغط مكامن الزيت . ولكي يستمر الزيت في التدفق الى فوهة البئر فانه لا بد من المحافظة على هذه القوة الدافعة في المكامن ، اما بحقن الغاز ، أو بحقن الماء ، أو بهاتين الوسيلتين معا . وتم عملية حقن الغاز في آبار خاصة تقع في المنطقة العليا للتركيب الجيولوجي للمكمن مما يؤدي الى دفع الزيت نزولاً نحو الآبار المنتجة . وأما عملية الحقن بالماء فتم في منطقة المكمن المزاح منها الزيت سابقاً ، أو المحتوية على ماء التكوين الجيولوجي لطبقة المكمن عبر آبار خاصة ، مما يؤدي الى تحرك الزيت نحو الآبار المنتجة في الحقل . لهذا كانت مراقبة ضغط المكامن ذات أهمية كبيرة ، وبالنسبة للمحافظة على مستوى الانتاج فيها . هذا بالنسبة الى الحقول ، أما بالنسبة الى الآبار فانها تحتاج الى صيانة دورية منذ بدء انتاجها ، وذلك تبعاً لتأثيرات خصائص المكمن ومميزاته ونوع تكويناته الجيولوجية ونوع زيت وطريقة الانتاج منه . على أن من أهم المصاعب التي يواجهها المسؤولون هو تأكل أنابيب تغليف الآبار الناجم عن تشقق طبقة الاسمنت المشادة حولها ، مما يسمح بتسرب الماء ونحوه الى الأنابيب ، فيجعلها عرضة للتآكل والعطب .

وتتطلب أعمال الصيانة وجود سجل كامل عن كل بئر يحوي كافة المعلومات الضرورية ، كتاريخ انجاز حفر البئر ، وعمقها ، والتكوين الجيولوجي الذي تنتج منه ، وأنابيب التغليف والانتاج المستعملة فيها وأحجامها ، والاصلاحات التي أجريت عليها منذ بدء انتاجها .

وتتضمن الأعمال الروتينية للصيانة وضع علامات على الطرق العامة تبين البئر أو الآبار الموجودة في منطقة ما ، وتثبت علامة على كل بئر تحمل رقم البئر والحقل الذي تتبعه ، بالإضافة الى تشحيم الصمامات المثبتة على فوهة البئر والتأكد من خلوها من الثقوب التي قد تسمح بتسرب الغاز أو الزيت منها . أما أعمال الصيانة الرئيسية فتتلخص فيما يلي :

### تركيب عمود الاختبار

#### Gin Pole Installation

يجري وضع عمود طوله ٣٠ قدماً على كل بئر من آبار حقن الماء ، لاستخدامه كرافعة يستعان بها في اجراء بعض الاختبارات اللازمة على البئر ،



اذ بواسطته يمكن ازالة معدات الاختبار واخراجها على سلك يمر بالبكرات المثبتة عليه .

## التغليف المميز للأنابيب الثقيلة

### Annulus Survey

تغلف جدران البئر بأنابيب خاصة يجري تثبيتها بالاسمنت من القاع الى السطح ، وذلك للحيلولة دون تسرب أي من السوائل الغريبة الى البئر . ولكن قد يحدث أن يتشقق الاسمنت فتتسرب السوائل عبره ، مما يجعل أنابيب التغليف عرضة للتآكل ، وبالتالي تتجمع هذه السوائل أو الغازات على نحو يهدد بحدوث انفجار في البئر . ولتفادي مثل هذه الأخطار يجري فحص الحيز الحلقي المحشو بالاسمنت مرة في العام على الأقل . وذلك بتركيب مقياس للضغط وصمامين ، أحدهما لمقياس الضغط والآخر للتفريغ ، على سطح البئر قرب صمام الحيز . ويجري الاختبار بقراءة الضغط المبدئي وتسجيله ، ثم فتح صمام التفريغ لأخذ عينة منه ، وإرسالها الى المختبر لاجراء الفحوص الضرورية عليها . وبعد ذلك يغلق صمام التفريغ ويفتح صمام الحيز وبالعكس لتسجيل معدل هبوط الضغط وارتفاعه في كلتا الحالتين .. يكرر ذلك مرات عديدة وللدد معينة يحددها مهندس الانتاج . ويتطلب هذا الاختبار امعانا في التأكد من صلاحية الاسمنت وأنابيب التغليف ، وضخ كمية من الماء في الحيز ، ثم تسجيل الزيادة أو النقصان في الضغط في مدة لا تتجاوز ٣٠ دقيقة في معظم الحالات ، وكذلك مراقبة الضغط في الحيز الآخر أثناء عملية الضخ . ويستعاض عن الماء أحيانا باستعمال النيتروجين المعبأ في أسطوانات لسهولة استعماله .

## معالجة آبار النفط بالمحلول

### Well Acidization

من النواحي المهمة في الانتاج تنشيط التكوينات الأرضية المنتجة للزيت من أجل رفع طاقة الآبار الانتاجية . والمعالجة بالحامض هي عملية تستخدم بصورة رئيسية في المكامن ذات الصخور الجيرية (الكلسية) ، اذ يدفع الى التكوين محلول من حامض «الهيدروكلوريك» الذي يتم تركيزه باضافة مواد كيميائية معينة اليه بنسبة معينة تتوقف على عدة عوامل منها حرارة المكمن ونوع وطبيعة صخوره ونوع الزيت . وحينما يتفاعل هذا المحلول مع الصخور الجيرية تتسع مسامات التدفق ، فيتحرك الزيت من المكمن نحو البئر .



نفر من وحدة خدمات الحقول أثناء قيامهم بتركيب التوصيلات اللازمة عمل فوطة بئر للزيت لمعالجتها بالحامض .



المشغل سالم المري يثبت طرف السلك بأدوات الاختبار تمهيدا لادخالها في عمود الاختبار .



بعد ربط عمود الاختبار بفوهة البئر يدلى السلك الخاص بانزال أدوات الاختبار الى داخل بئر الزيت.



المشرف عبد الرحمن درويش يساعد أحد المشغلين على تفكيك أدوات الاختبار لاستخراج الصفائح الخاصة بتسجيل الحرارة والضغط .

من البئر فمن شأنها مراقبة حالة أنابيب التغليف والكشف عما اذا كانت هناك سوائل متجمعة خلفها ، فالمعروف أن درجة الحرارة تناسب طرديا مع عمق البئر ، فإذا حدث أن انخفضت درجة الحرارة على عمق معين يعرف من ذلك أن هناك احتمال وجود ماء خلف أنابيب التغليف أو أن فيها ثقوبا .

## قياس مستوى السائل

### Measuring Fluid Level

وتتلخص هذه العملية في ازالة أدوات دقيقة الى أعماق آبار حقن الماء وآبار مراقبة الحقول لمعرفة مستوى الماء فيها ليتمكن المهندسون من خلال ذلك من دراسة جميع الاحتمالات المرتقبة في المستقبل . كما يجري أيضا قياس أعماق الآبار ، وخاصة آبار حقن الماء لتقدير نسبة الرمل المتسربة الى البئر . ومن ثم يزاح الرمل بواسطة أنبوب مفتوح ذي صمام يدلى به في البئر على خط سلكي ، أو يضغط الزيت والماء ، أو بهذه الوسائل مجتمعة .

مختلفة سواء أكانت البئر مغلقة أو أثناء جريان الزيت منها . وتتألف أدوات الفحص من جهاز لقياس الحرارة وآخر لقياس الضغط مزودين بصفائح معدنية سوداء ، وأبر حادة تحفر خطوطا على الصفائح تبين الضغط والحرارة . وساعات موقوتة تتمشى مع ما تتطلبه عملية ازالة الأدوات وإخراجها من وقت .

وتتم العملية بوضع كل من مقياس الحرارة أو مقياس الضغط في أسطوانة مع ما يتبعه من الأدوات الأخرى ، ثم وصلهما معا ، وربطهما بطرف سلك فولاذي ، وادخلهما في ماسورة تنزل في البئر عبر صمام التفريغ في تركيبة فوهة البئر الواقع فوق صمام البئر العلوي . وكلما وصلت الأدوات الى عمق يبينه عداد السلك انتظر العمال مدة معينة تكفي لتسجيل الحرارة أو الضغط على الصفائح ، ليستأنفوا بعدها عملية الانزال حتى يصلوا الى آخر عمق يحدده برنامج الصيانة . وأهمية هذا الاختبار هي مراقبة الضغط والحرارة في قيعان الآبار وفي المكامن . وأما بالنسبة لعملية قياس درجات الحرارة عند أعماق مختلفة

وتتم هذه العملية بمد أنابيب وتوصيلات من صمام البئر العلوي الى مضخة ضخمة مصممة خصيصا لهذا الغرض ، بالإضافة الى مد خط أنابيب لحرق الزيت بعد انتهاء عملية المعالجة بالحامض لتنظيفه من الماء والرواسب . ويبدأ ضخ الحامض في أنابيب الانتاج الى قعر البئر . ثم يدفع الديزل أو الكيروسين لازاحة الحامض من أنابيب الانتاج الى صخور المكمن حيث يتم التفاعل الكيماوي مع تلك الصخور . وبعد مدة محددة من عملية التفاعل هذه ، يفتح البئر ويحرق الزيت الناتج الى أن يتأكد من خلوه من رواسب الحامض والشوائب الأخرى ، وذلك بأخذ عينات منه لفحصها في المختبر .

## فحص درجة حرارة البئر والضغط في الوقت

### Temperature & Pressure Survey

يعتبر هذا الفحص من أهم الفحوص الروتينية التي تجرى سنويا على آبار الزيت . ويتم بواسطته قياس الحرارة والضغط في البئر على أعماق



## حفر آبار الماء

المناطق النائية فيستعمل نوع من المضخات يدار بمحرك ديزل .

## تنظيف باطن أنابيب الانتاج

### Scraping

والغرض من اجراء هذا الفحص هو ازالة الرواسب الشمعية والاسفلتية التي يتركها الزيت على جوانب مجموعة أنابيب الانتاج في الجزء العلوي البارد من البئر . وذلك بانزال محكة أو كاشطة ( Scraper ) عبر أنابيب الانتاج تعمل على تنظيفها .

## حفر الآبار ذات التكوين المزدوج

### Dual Completion Wells

يجري هذا النوع من الفحوص على آبار الزيت المنتجة من طبقتين ، وتستخدم فيه أدوات فصل « Seperation Tools » لعزل طبقة عن الأخرى ، وأخذ عينات من زيت كليهما . وهناك أعمال صيانة أخرى غير ما ذكر ، تشمل تثقيب أنابيب الانتاج ، وتركيب صمامات السلامة المتصلة بأنابيب الانتاج داخل البئر . وذلك في الآبار الواقعة ضمن المنطقة المغمورة بالماء .

يستعمل لحفر آبار الماء جهاز من طراز ت - ١٢ ( T-12 ) ، وهو جهاز صغير اذا ما قورن بأجهزة حفر آبار الزيت ، ولكنه لا يختلف عنها من حيث الأجزاء والمعدات . ويجري حفر آبار الماء في مرافق الشركة ومنشأتها طبقا لمواصفات يشملها برنامج مفصل تعده ادارة هندسة الزيت . وتصل أعماق هذه الآبار أحيانا الى ٨٠٠ قدم ، وذلك يتوقف على عمق التكوين الحامل للماء . وتعتبر الخبر ، والعرومة ، والعلاء من التكوينات الجوفية الغنية بالمياه العذبة .

عند الانتهاء من حفر البئر وتغليفها بالأنابيب الى عمق الطبقة الحاملة للماء ، تقوم فرقة الحفر بتركيب مضخة عليها تتناسب مع حجم أنابيب التغليف ، وعمقها . ومنسوب الماء فيها . ومقدار الماء المزيج ضخه ، وتوفر الكهرباء في المنطقة أو عدم توفرها . فالمضخات التي تدار بمحرك كهربائي هي مضخات جوفية ذات الغاطس « Submersible Pumps » . أما في

## صيانة الآبار

تحتاج آبار الماء الى صيانة مستمرة لكونها تتعرض لدخول الرمال اليها . وكذلك المضخات بأنواعها عرضة للتآكل والعطب . لهذا تجري معاينة الآبار والمضخات مرة في كل عام . كما تجري أعمال الاصلاح والصيانة وفقا لما تقتضيه الحاجة . وتشمل صيانة آبار الماء عمليات النزح « Bailing » . وتنظيف آبار الماء عامة وآبار مراقبة حقول الزيت خاصة . وذلك بانزال معدات خاصة لجرف الرمال . وهناك عملية خاصة بالنسبة لبعض آبار الزيت التي لا يقوى ضغطها على دفع الزيت الى أعلى . وتتلخص هذه العملية في ازالة ما يسمى بأكواب النزف « Swabbing Cups » الى باطن البئر لتجرف رواسب السوائل الثقيلة أو الأوساخ . فيندفع الزيت خلفها

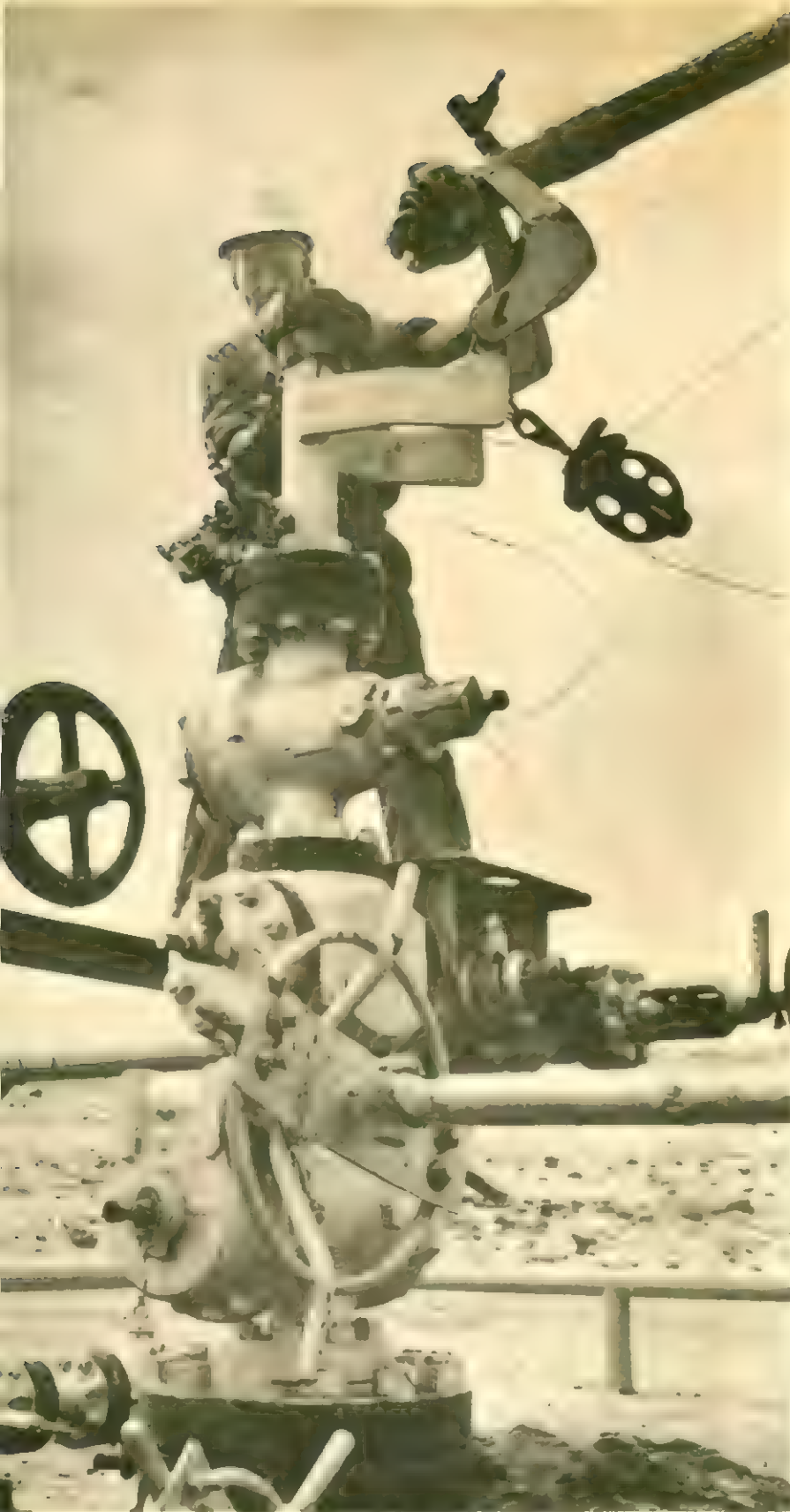
بجانبه

وفيما يلي جدول يبين عدد آبار ماء الشرب والمناطق الموجودة فيها حتى مطلع عام ١٩٧٠ .

المنطقة	عدد الآبار
الظهران	٢٠٠
رأس تنورة	١٧٠
المدارس التي بنتها الشركة	١١٠
سكة حديد حكومة المملكة العربية السعودية	١٨٠
أعمال الحفر	٨٠
أعمال التنقيب	١٠

فيما يلي جدول يبين عدد آبار الزيت والحقن والمراقبة الواقعة ضمن منطقة امتياز أرامكو حتى مطلع عام ١٩٧٠ .

المنطقة	عدد الآبار
أعمال الحفر	١٧٠
أعمال التنقيب	٢٠
أعمال الحفر	١٨٠
أعمال الحفر	١٠
أعمال الحفر	١٧٠
أعمال الحفر	١٠



فتح الفطاء العلوي لقوة بئر الزيت بعد فتح صمام  
التفريغ لإطلاق الغاز المتجمع فوق صماء البئر العلوي .



اثنان من قسم خدمات الآبار يقومان بمعاينة محرك خاص  
بمضخات الماء الضخمة المستعملة في الآبار العميقة .

بعد ادخال أدوات الفحص في عمود الاختبار يجري وصل طرفها برأس بئر الزيت .  
تصوير : شيخ أمين وحسن خضير



# التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية

بقلم الأستاذ محمد عمر سعد العامودي

لدراسة

النظم القضائية أهمية لا تقل عن أهمية التشريع في كل مجتمع . وإذا كانت الشرائع ضرورة للمجتمع ، فإن تقريرها لا بد من أن يقرن بوجود أداة أو وسيلة تضمن تنفيذها لتأمين سلامة الحياة الاجتماعية وانتظامها ، وبوجود القضاء يتحقق للقواعد التشريعية أبرز خصائصها ، وهي صفة الالتزام (١) .

ويقتضي الكلام عن التنظيم القضائي الرجوع الى بداية عهد التاريخ الاسلامي ، لتتبع مراحل القضاء فيه منذ نشأته ، وذلك لاستخلاص القواعد الرئيسية التي كان يقوم عليها ذلك النظام . وهذه المقدمة التاريخية ضرورة باعتبار أن النظام القضائي القائم في بلادنا اليوم إنما هو امتداد لذلك النظام الذي كان قائما في الدولة الاسلامية عبر العصور ، وثمرة تطور طويل تصارعت فيه اعتبارات سياسية واجتماعية وقديمة ، غلبت عليها فيما بعد الاعتبارات الاسلامية (٢) .

الأدوار التاريخية لبي مرتبة نظام القضاء في التاريخ السعودي

لم يكن في المجتمع العربي قبل الاسلام سلطة تشريعية لسن القوانين وتقنينها . وإنما كانت تسوده التقاليد والاعراف القبلية والعشائرية . وفي ظل ذلك الوضع كان القضاء ينحصر في يد رئيس القبيلة أو شيخ العشيرة ، يتولاها في داخلها بصورة تلاثم حياتهم الفطرية . ولم تكن سلطة الرئيس أو الشيخ لتتعدى ذلك النطاق الضيق . أما في خارج القبيلة فقد كان السائد هو حكم القوة . وعندما ظهر الاسلام تغيرت معالم المجتمع

العربي . فقد وضع هذا الدين الجديد أساسا لتوحيد المجتمع . وأتى بفكرة الدولة والشورى . واحترام الحريات . والملكية الفردية . وحسن الجوار وأصبح القضاء طبقا للوضع الجديد عملا عاما تمارسه الدولة ، وقد تولاه في أول الأمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بنفسه ، فكان يقضي بين الناس بما ينزل عليه من وحي .

وبانتشار الاسلام واتساع رقعة دولته . أذن الرسول لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس بالكتاب والسنة والاجتهاد عند عدم توفر النص وما كان عليه الأمر في عهد النبي عليه السلام كان عليه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه . أما في خلافة الفاروق عمر رضي الله عنه فقد اقتضت حال الدولة الجديدة ، بعد توسعها واتصالها بغيرها من الدول ، ادخال نظام شرعي لحل المشاكل يقضي بتعيين قضاة ينوبون عن الخليفة ، أطلق عليهم لأول مرة اسم « القضاة » . وكان ذلك ايدانا بانثاق قانون الفصل بين السلطات ، وهو القانون الذي نادى به القاضي الفرنسي المعروف « مونتيسكو » في القرن الثامن عشر ، والذي ما زال يطبق حتى اليوم على كافة النظم القضائية المعاصرة في بلاد العالم المتمددين .

وقد اتبع بقية الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، ومن جاء من بعدهم ، هذا السبيل ، فكان الخليفة يختار القاضي بنفسه ، أو يفوض الوالي أمر تعيينه .

وكان من بين التبعات العامة المنوطة بالقاضي فصل المنازعات ، واستيفاء الحقوق ، والاشراف على الأوقاف والقاصرين ، ومن كان في حكمهم . وتنفيذ الوصايا ، واقامة الحدود وسائر العقوبات .

وكان من قواعد القضاء . استقلال القاضي ، وجوب الحكم طبقاً لقواعد الشريعة ، والتسوية بين المتداعين ، واعتبار الأصل براءة الذمة ، والزام المدعي بتقديم البينة على دعواه . وتدقيق البينات المقدمة .

ويقسم رجال الفقه الاسلامي القضاء الى ثلاثة أقسام هي : ولاية القضاء ، وولاية المظالم ، وولاية الحسبة . وتتخذ ولاية القضاء مركزاً وسطاً بين ولاية المظالم وولاية الحسبة .

فولاية الحسبة نوع من القضاء المحدد يختص بقضايا التدليس في المبيعات وتظيف الكيل ، والغش في الأسواق والمضايقة في الطرقات والمماطلة في تسديد الديون مع القدرة على ذلك . وللمحتسب الى جانب ذلك الحق في التعرض من تلقاء نفسه لما يختص به من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر دون ما حاجة الى رفع هذا الأمر اليه .

أما ولاية المظالم فهي أوسع من ولاية القضاء مجالا وأوسع مقالا ، فهي كما يقول الفقهاء : « قود المتظلمين الى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة » . ولا يتقيد قاضي المظالم في قضاؤه بين الأفراد بشكليات القاضي العادي ، وله الى جانب ذلك ولاية تأديب عامة ، حتى بدون رفع الأمر اليه بذلك .

ولاية المظالم — بالاضافة الى ذلك — نوع من القضاء الاداري ، اذ كان قاضي المظالم ينظر في الشكاوى التي يتقدم بها الناس من تصرفات المسؤولين ، كذلك كان يرجع اليه عندما يستعصي على القاضي الحكم في دعوى معينة .

ويلخص فقهاء الشريعة الاسلامية العلاقة بين القضاة وقاضي المظالم والمحتسب بقولهم : « ان

النظر في المظالم موضوع لما عجز عنه القضاء . والنظر في الحسبة موضوع لما رُفِه عنه القضاء . « وقد اضطلع الحاجب - في زمن مضى - باختصاص قضائي واسع ، لا سيما في المعاملات التجارية .

ولم يكن القضاء - فيما مضى - تنظّمهم وحدة تنظيمية هي المحكمة . فالسائد في الفقه الاسلامي - كما يرى الباحثون هو شخصية القاضي ، أما فكرة المحكمة على النحو المعروف في النظام الحديث فيتسلمها الباحث دون أن يصل اليها نصاً .

والقضاء طوال مراحل تطور التاريخ الاسلامي كان يتخذ مظهراً واحداً من حيث الشكل . وإذا كانت ثمة أوجه خلاف يمكن ذكرها في هذا الصدد . فإنها تبدو فيما تميزت به فترة عن أخرى نتيجة لظهور المذاهب الدينية المختلفة . فقد كان القاضي في العصور التي سبقت العصر العباسي يلتزم بتطبيق الكتاب والسنة وما يوحى اليه اجتهاده عند عدم توفر النص . غير أنه في العصر العباسي ، ونتيجة لظهور المذاهب . تلاشت روح الاجتهاد في الأحكام . وأصبح القاضي ملزماً باصدار أحكامه وفق المذاهب . ففي العراق كان المذهب الشافعي هو مذهب أبي حنيفة . وفي الشام والمغرب ساد مذهب مالك بن أنس . وفي مصر مذهب الشافعي . فاذا تقدم متخاصمان على غير المذهب الشافعي في بلد من البلاد أناب القاضي عنه قاضياً يعتقد عقائد مذهب المتخاصمين .

وتميز العصر العباسي أيضاً بظهور « قاضي القضاة » الذي كان يقيم في حاضرة الدولة ، ويولي من قبله قضاة ينوبون عنه في الأقاليم والأمصار . وكان لكل ولاية قاض ، ثم أصبح في كل ولاية قضاة يمثلون المذاهب المختلفة ، فينظر كل منهم في النزاع على أساس المذهب الديني الذي يتبعه المتخاصمان .

المبادئ التي يقوم عليها نظام القاضي في التاريخ الإسلامي

يمكن استخلاص الخصائص العامة لنظام التقاضي الاسلامي مما يأتي :

« يتولى القاضي سلطته بتقليد الخليفة . فولايته تكون اذاً مستمدة من الولاية العامة . « كان القضاء يقوم في الأصل على أساس الدرجة الواحدة . فليست ثمة درجة ابتدائية ودرجة استئنافية . غير أنه يمكن الاستفادة مما جاء به الفقهاء بصدد نقض القاضي لأحكام غيره . وإباحة ذلك في بعض المواضع ، وبصدد قيام المحكوم عليه بطلب فسخ الحكم عنه ، وجوازه أحياناً . أما من يقوم بذلك النقض للأحكام أو الفسخ فهو تارة القاضي الذي أصدر الحكم ، وتارة غيره . وليس من الضروري أن يكون أعلى درجة منه . وتارة قاضي القضاة وتارة الامام ، أو من يخلفه (٤) .

« يقوم القضاء في الأصل على أساس وحدة القاضي ، فلا يتعدد القضاة عند النظر في الدعوى .

« جواز تخصيص القضاة . اذ يجوز أن يكون القاضي عام النظر في خصوص العمل (٥) . وهو ما يعرف « بالتوزيع النوعي » أو « الاختصاص النوعي » في الفقه الحديث .

وتخصيص القضاة معروف في الفقه الاسلامي ، وقد عبر الفقهاء عن ذلك بقولهم : « وإذا قلّد قاضيان على بلد ، على أن يرد الى أحدهما نوع من الأحكام والى آخر غيره كرد المديانات الى أحدهما ومسائل الزواج الى الآخر فيجوز ذلك ... » (٦) .

كما أنه يجوز أن تكون قيمة النزاع هي ضابط اختصاص القاضي . وقد روى عن أبي عبد الله الزبيري أن قاضي المسجد بالبصرة كان يحكم في مائتي درهم وعشرين ديناراً فما دونها . ولا يتعدى ما قدر له .

ولاية القاضي في الإسلام

قامت الدولة الاسلامية بتنظيم القضاء وادارته على اقليمها ، ولم يكن مناط سيادة الشريعة الاسلامية في النظام الاسلامي مبنياً على فكرة التبعية السياسية للدولة ، وهو ما يعرف بالجنسية . وانما كان مناط هذه السيادة هو الدين الاسلامي

نفسه . فالاسلام كان يقسم العالم الى قسمين : دار الاسلام : وتضم البلاد التي يسود فيها الاسلام .

ودار الحرب : وتضم البلاد التي لم يعتنق أهلها الاسلام . وإن لم يحاربوا المسلمين . وأهل دار الحرب ممنوعون من دخول دار الاسلام ، الا اذا كانوا معاهدين أو استأمن أحدهم بأمان خاص . وكان ضابط هذه السيادة يقوم على الأسس التالية :

« أن المسلم لا يخضع لغير القاضي المسلم ، وأن القاضي المسلم لا يقضي لغير المسلم الا بالترافع لديه .

« ان القاضي المسلم لا يحكم بغير أحكام الشريعة في الدعاوى التي ترفع اليه وتدخل في ولايته ، بصرف النظر عن ديانة الخصوم وتبعيتهم السياسية ، ومعنى ذلك أن ثمة تلازماً بين الاختصاص القضائي والاختصاص التشريعي ، وأن الشريعة شرعية اقليمية يخضع لها كافة الأشخاص في دار الاسلام ، مهما كانت ديانتهم أو جنسيتهم ، ولكنها كانت تجيز لغير المسلمين الخضوع لشرائعهم الدينية في حدود كتلك التي تتعلق بالأنكحة والمهور وغيرها .. (٧) . ولقد كانت هذه القواعد بما انطوت عليه من مبادئ ، حاثلاً دون ظهور مشكلة تنازع القوانين في العالم الاسلامي حتى كان عهد الحكومات العثمانية (٨) .

القضاء في عهد الدولة العثمانية

كان الحجاز قبل الحكم العثماني يخضع لدولة المماليك البرجية . وكان المماليك يعملون بنظام تعدد المذاهب في القضاء . وفي ظل ذلك الحكم كان النظام يجيز للمدعي أن يرفع دعواه لأي من قضاة المذاهب الأربعة .

وقد دخل الحجاز في فلك الامبراطورية العثمانية دون حرب في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي . وذلك حين سلم أمير مكة مفتاح الكعبة الشريفة للسلطان سليم العثماني وبايعه بالولاية والتبعية (٩) .

(٤) و (٥) و (٦) « الأحكام السلطانية والمرافعات » . للدكتور أحمد مسلم . (٧) و (٨) « القانون الدولي الخاص » للدكتور عز الدين عبد الله . (٩) « البلاد العربية والدولة العثمانية » لساطع المصري .



وقد أعاد العثمانيون نظام وحدة المذهب ، وجعلوا قاضي القضاة واحداً منهم ، أي حنفي المذهب ، على أن يكون له نواب من المذاهب الدينية الأربعة . وكان السلطان في عهد الدولة العثمانية يقوم بتعيين قاضي القضاة لمدة سنة واحدة أما قضاة الأقاليم فكان السلطان يقوم بتعيين البعض منهم ، بينما يقوم قاضي القضاة بتعيين البعض الآخر .

وقد كان قضاة الشرع يشكلون في أوائل العهد العثماني المحاكم العادية بوجه عام . وكان اختصاص القاضي الشرعي شاملاً لكافة الأمور ، غير أن هذا الوضع لم يدم طويلاً . غير أن الحجاز وسائر أقاليم شبه الجزيرة العربية لم تتأثر في ظل ذلك الحكم بما ابتدئ في أخريات أيامه الا قليلاً .

فالقاضي الشرعي ، الذي كان يشكل بوجه عام المحاكم العادية ، اقتصر على النظر في أحكام الزواج والطلاق وغيرها من الأحكام المصطلح عليها حديثاً اسم « الأحوال الشخصية » ، فقد أحدث العثمانيون محاكم نظامية للنظر في المعاملات إثر صدور المدونات العثمانية الجديدة . ثم أدت عوامل الفوضى والاضطراب الى قيام المحاكم القنصلية بمقتضى نظام الامتيازات الأجنبية . ثم محاكم الأقليات للنظر في مسائل الأحوال الشخصية المتعلقة بأبناء الطوائف من غير المسلمين من رعايا دولة آل عثمان .

### النظام القضائي في المملكة العربية السعودية

يعتبر فتح مدينة الرياض في أوائل القرن الحالي على يد المغفور له الملك عبد العزيز نواة لبناء تلك الوحدة التي ظهرت في قلب شبه الجزيرة العربية في أعقاب الحرب الأولى . فقد تم له الاستيلاء على سائر أقاليم نجد في سنة ١٩٠٦ . وتم له ضم الأحساء في سنة ١٩١٣ . والقضاء على حكم آل الرشيد في حائل سنة ١٩٢١ ، وفتح الحجاز في أواخر سنة ١٩٢٤ . وضم منطقة عسير في سنة

١٩٣٠ . ثم اعلان المملكة العربية السعودية على الدولة الجديدة في سنة ١٩٣٢ م .

وكان الملك عبد العزيز قد أعلن في سنة ١٩٢٦ بياناً أكد فيه تقيده بالشرعة الإسلامية كدستور للحجاز . على أن القضاء في أعقاب نشوء الدولة الجديدة مر بمراحل مختلفة تختلف أولها في التشكيل المؤقت الذي صدر به أمر ملكي في عام ١٩٢٦ . ثم تلاه مرسوم ملكي صدر في عام ١٩٢٧ يقضي بتشكيل المحاكم الشرعية في الحجاز .

ويعتبر التشكيل الذي جاء به المرسوم الملكي الصادر في سنة ١٩٢٧ أساس التشكيل الحاضر . وقد قضى بإيجاد محاكم كبرى ، ومحاكم مستعجلة . وهيئة للمراقبة . ثم توالى النظم الى أن استقر الوضع بصدر نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي في سنة ١٣٧٢ . الذي عين ترتيب المحاكم واختصاصها ورجعها وتفتيشها . كما صدر نظام في العام نفسه يقضي بتنسيق الأعمال في الدوائر الشرعية ، وهو يعتبر بمثابة قانون للمرافعات .

ورغم الوحدة الشاملة التي انتهت بتأسيس المملكة العربية السعودية الا أن الأوضاع في بداية الأمر لم تكن تسمح باختصاص كافة أجزائها لنظام موحد . فالحجاز بحكم ماضيه ومركزه السياسي عبر العصور كان أميل نسبياً الى قبول التنظيم من أجزاء المملكة الأخرى ، وفيما عداه كان القاضي يتبع مجلس الأمير - حاكم الاقليم - وقد ترتب على ذلك الوضع أن القاضي كان ينظر في عامة المسائل والأمور بكافة المعاملات والجنائيات دون تحديد .

وقد بقي قضاة الحجاز في الأيام الأولى لتأسيس المملكة يطبقون المذهب الحنفي ، وهو المذهب الذي كان سائداً خلال حكم الأشراف للحجاز . بينما كان قضاة نجد يطبقون المذهب الحنبلي .

ولما كان هذا الاختلاف لا يتسجم مع الوحدة الشاملة للبلاد ، ومع خصائص الدولة الموحدة ،

فقد ارتأت الدولة أن تعيد النظر في ذلك الأمر حتى صدر في سنة ١٣٤٥ هـ مرسوم ملكي يقضي بتوحيد الأساليب الفقهية في جميع أجزاء المملكة ، ويجعل مذهب الامام أحمد بن حنبل المذهب الرسمي للقضاء . ومنذ ذلك الحين أصبح هذا المذهب هو المذهب السائد في البلاد . وفي ٧ محرم سنة ١٣٤٧ هـ أصدرت الهيئة القضائية العليا قراراً يوجب العمل بالقول المقتضى به من مذهب الامام أحمد بن حنبل . وعينت الكتب المعتمدة في المذهب . وهي : « شرح المنتهى » و « شرح الاقتاع » . وعند اختلافهما يعتمد الأول . وعند عدم النص فيهما يرجع الى شرحي « الزاد » أو « الدليل » . وان لم يوجد نص في هذين الكتابين يرجع الى كتب المذهب التي هي أبسط منهما ، ويقضى بالقول الراجح فيها . ثم صدر مرسوم ملكي في ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٤٩ هـ يقضي بأن ما نصت عليه كتب الامام أحمد يجب أن يعمل به دون الحاجة الى اجتماع أعضاء المحكمة ، ولكن لا بد من اجتماعهم عند وجوب الاجتهاد فيما لا نص فيه .

وقد تكللت الجهود أخيراً بتوحيد القضاء تحت رئاسة واحدة بعد أن ظل حتى عام ١٣٧٩ هـ خاضعاً لرئاستين . أحدهما في نجد . والأخرى في الحجاز .

### النظام القضائي بالمملكة في وضعه الراهن

ان محور التنظيم القضائي لأي دولة حديثة يتعكس في محاكمها ، فهي أداة القضاة . ولفظة « المحكمة » اصطلاح حديث في عالم القانون ، لأن لفظة « القاضي » كانت هي السائدة في الفقه الاسلامي ، ولا تزال هي الاصطلاح الأكثر شيوعاً في نظم التقاضي في المملكة .

وقبل أن نتناول الصورة الوصفية للنظام القضائي على ضوء تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي الصادر في سنة ١٣٧٢ هـ ، نشير الى أمرين : أولهما ، أن الجهود التي بذلت منذ نشوء المملكة العربية

السعودية كانت تتناول مسائل توحيد القضاء في البلاد واختصاصات القضاة ، دون أن تنال من جوهر النظام ذاته أو طبيعته أو المبادئ الأساسية لنظام التقاضي الاسلامي . ولذلك فان نظام القضاء في المملكة يعتبر امتدادا للنظام القضائي الاسلامي .

والأمر الثاني ، هو ان الظروف السياسية التي أحاطت بالدول العربية الشقيقة منذ العهد العثماني ، ترتب عليها ظهور نظم مدنية ومحاكم نظامية فيها تطبق المدونات المستمدة من القانون الأوربي والمحاكم الأجنبية . وقد كانت أقاليم هذه المملكة بمنأى عنها ، رغم خضوعها للظروف نفسها التي كانت تخضع لها الأقاليم العربية الأخرى ولكن القضاء بقي فيها منوطاً بالقضاة الشرعيين وفق المنهج الفقهي الاسلامي .

## أقسام المحاكم في المملكة

المحاكم الكبرى : وتتألف من رئيس ، ومساعد ، وأعضاء يختلف عددهم من مدينة لأخرى . وهي تنظر في المخاصمات والمعاملات التي لا تدخل في اختصاص قضاة المحاكم المستعجلة . ويقوم بتوزيع الدعاوى فيها على القضاة رئيس المحكمة . ويقوم كل واحد من هؤلاء القضاة بالنظر في الدعوى المحالة اليه على انفراد . غير أن رئيس المحكمة يشترك مع النواب في الأحكام التي تصدر بالقتل والقطع ، الى جانب تروسه الجلسات التي تعقد لمثل هذه القضايا .

المحاكم المستعجلة : وتنفرع عنها ثلاثة أقسام . هي : المستعجلة الأولى ، والمستعجلة الثانية . والمستعجلة . فقاضي المحكمة المستعجلة الأولى ينظر في الدعاوى المالية التي لا تزيد على ٣٣٠٠ قرش سعودي وفي قضايا الجرح والتعزيرات الشرعية ، والحدود التي لا قطع فيها وفق أحكام الشريعة ، وكذلك في كل ما تخوله له الأوامر والتعليمات النظر فيه مما هو خارج عن

اختصاصات المحاكم الكبرى والمحاكم المستعجلة الثانية .

وأما قاضي المحكمة المستعجلة الثانية ، فيختص بالنظر في أمور البادية وما يتعلق بها وكل ما تخوله له الأوامر والتعليمات النظر فيه مما هو خارج عن اختصاص المحاكم الكبرى والمحاكم المستعجلة الأولى .

وفي المناطق التي لا توجد فيها قضاة محاكم مستعجلة أولى وثانية ، يعين فيها قضاة محاكم مستعجلة ، وهم يختصون بالنظر في قضايا الجرح والتعزيرات والحدود التي لا قطع فيها ، وفي القضايا المالية التي لا تزيد على ٣٣٠٠ قرش سعودي ، وفي دعاوى البادية ، وفي كل ما تخوله له الأوامر والتعليمات النظر فيه مما هو خارج عن اختصاص المحاكم الشرعية الكبرى .

وتنص المادة ٨٥ من نظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي على أن كل بلدة تخلو من قاضي محكمة مستعجلة ، يقوم قاضي محكمتها بجميع أعمال المحاكم المستعجلة واختصاصاتها ، بالإضافة الى أعماله الأساسية . وتتألف كل محكمة من المحاكم المستعجلة الثلاث من قاض واحد .

## ترقيت الأحكام

وينص نظام تشكيل المحاكم الصادر في سنة ١٩٢٧ على ايجاد هيئة مراقبة للإشراف على جميع المحاكم الشرعية ، وتدقيق الأحكام الصادرة وإبرامها أو نقضها مع إعادة القضية الى المحكمة التي حكمت فيها لإعادة النظر فيها . وكانت هيئة المراقبة في ظل ذلك النظام تتألف من خمسة قضاة ، لكن التشريعات المتعاقبة التي صدرت بعد ذلك عهدت بمسؤولياتها الى رئاسة القضاء . ويوجد في البلاد الآن هيئتان لتدقيق الأحكام ، أحدهما في مكة المكرمة والأخرى في الرياض . وتتكون الواحدة منهما من رئيس وثلاثة قضاة .

• • •

ذلك هو الاطار العام للقضاء في المملكة

العربية السعودية . غير أنه في الوقت نفسه توجد هيئات خاصة تمارس نوعاً معيناً من فضاء المنازعات . وهذه الهيئات هي :

• المجلس التجاري : وقد تأسس في سنة ١٣٤٥ هـ وأعيد تشكيله بموجب نظام المحكمة التجارية الصادر في سنة ١٣٥٠ هـ . وكان يضطلع في وقت من الأوقات بالنظر في المسائل التجارية التي تحدث بين التجار ومن لهم علاقة تجارية . غير أن هذا المجلس لم يدم طويلاً ، فقد ألغي بعد فترة من تأسيسه وأحيلت كافة القضايا والأمور التي كان ينظر فيها الى المحاكم الشرعية .

• مجلس ادارة ينبع : ويختص بالنظر في المسائل التجارية ، ومقره ينبع ، وقد ألغي كسابقه .

• هيئة فض المنازعات التجارية :

في وقت متأخر صدر قرار مجلس الوزراء الذي عهد الى وزارة التجارة الصناعية باختصاصات المجلس التجاري ، وعلى أثر ذلك أصدر وزير التجارة والصناعة في سنة ١٣٨٢ هـ قراره القاضي بتشكيل هيئة باسم « هيئة فض المنازعات التجارية » للنظر في المنازعات التجارية التي كانت منوطة فيما مضى بالمجلس التجاري . ثم تقرر بعد ذلك دمج هذه الهيئة وهيئة حسم منازعات الشركات التجارية المنصوص عنها في المادة ٢٣٠ من نظام الشركات في هيئة واحدة أطلق عليها اسم « هيئة حسم المنازعات التجارية » ، على أن تشكل هذه الهيئة في كل من الرياض ، وجدة ، والدمام ، وفقاً للمادة ٢٣٢ من نظام الشركات . وتتألف هذه الهيئة من ثلاثة مستشارين قانونيين . وكانت قبل تشكيلها تتألف من رئيس تنتدبه وزارة التجارة والصناعة ومستشار قانوني وعضو عن الغرفة التجارية . هذا ، وقد أعقب تشكيل هذه الهيئات تشكيل هيئة لتمييز القرارات الصادرة عنها برئاسة وكيل وزارة التجارة والصناعة ، وعضوية مستشارين اثنين ممن لم يسبق لهم الاشتراك في النظر في أي من القضايا المميزة . وتقوم هذه الهيئة بالتصديق على القرارات الابتدائية ما دامت مطابقة للشريعة الاسلامية والأنظمة المعمول



بها . غير أن هذه الهيئات ما لبثت أن ألغيت ثم أعيد تشكيلها بموجب قرار مجلس الوزراء في كل من الرياض وجدة والدمام . وهي تتألف من اثنين من رجال الشرع . وقد أعطيت قراراتها الصفة النهائية . وهي تتبع وزارة التجارة والصناعة من الناحية الادارية .

• **الهيئات العمالية :** أعطي لهذه الهيئات وحدها اختصاص النظر في القضايا العمالية . وهي تصدر أحكامها عن طريق جهات تابعة لوزارة العمل وهذه الجهات هي

• **المكتب الرئيسي في المنطقة** التي تعتبر موطناً لطرفي الدعوى . ويصدر أحكاماً ابتدائية قابلة للاستئناف أمام المديرية العامة لشؤون العمل .

• **المديرية العامة لشؤون العمل ،** وتنتظر في القضايا المستأنفة من قبل المكاتب الرئيسية . وأحكامها قابلة للاستئناف أمام اللجنة العليا .

• **اللجنة العليا للنظر في القضايا والخلافات العمالية ،** ويقتصر اختصاصها على النظر في القضايا المستأنفة من قبل المديرية العامة لشؤون العمل . وتصدر أحكامها بصفة نهائية قاطعة .

وقد صدر نظام العمل الجديد الذي أصبح ساري المفعول اعتباراً من ١٩ رمضان ١٣٨٩ الموافق ٢٨ نوفمبر ١٩٦٩م فلجأ الى تعديل اجراءات التقاضي الطويلة . وأصبح الوضع بموجب النظام الجديد على الشكل الآتي .

أ - **اللجان الابتدائية** لتسوية الخلافات .

ب - **اللجنة العليا** لتسوية الخلافات .  
وطبقاً للمادة ١٧٣ من نظام العمل الجديد تؤلف بقرار من مجلس الوزراء في كل مكتب من مكاتب العمل الرئيسية والفرعية في المملكة اللجان الابتدائية لتسوية الخلافات بناء على ترشيح وزير العمل . وتشكل كل لجنة من ثلاثة أعضاء من أصحاب الخبرة في القضايا الحقيقية . ويجب أن يكون واحد على الأقل من العضوين الآخرين من حملة الاجازة في الشريعة أو الحقوق . ويحدد القرار من بينهم رئيساً . وتختص اللجان الابتدائية بالفصل نهائياً في

• **الخلافات العمالية** التي لا تتجاوز قيمتها الثلاثة آلاف ريال .

• **الخلافات المتعلقة** بوقف تنفيذ قرارات فصل العمال المرفوعة وفق أحكام النظام .

• **الخلافات المتعلقة** بتوقيع الغرامات أو بطلب الاعفاء منها .

كما تختص هذه اللجان **بالفصل بدائياً في :**  
• **الخلافات العمالية** التي تتجاوز قيمتها الثلاثة آلاف ريال

• **الخلافات المتعلقة** بالتعويض عن اصابات العمل أيا كانت قيمتها .

• **الخلافات المتعلقة** بالفصل عن العمل .

أما اللجنة العليا لتسوية الخلافات فتؤلف هي الأخرى بقرار من مجلس الوزراء من خمسة أعضاء . ثلاثة منهم يمثلون وزارة العمل والشؤون الاجتماعية . والرابع عن وزارة التجارة والصناعة . والخامس عن وزارة البترول والثروة المعدنية . ويسمى أحدهم رئيساً وذلك طبقاً لقرار مجلس الوزراء نفسه على أن لا تقل مرتبته عن الثانية .

أما اختصاصاتها فتتخصص في الفصل نهائياً وبالدرجة القطعية في جميع الخلافات التي ترفع للاستئناف أمامها . وكذلك في فرض العقوبات المنصوص عليها في نظام العمل بحق المخالفين لأحكامه . وتصدر اللجنة العليا واللجان الابتدائية قراراتها بأغلبية آراء أعضائها .

• **ديوان المظالم :** رأينا أن قاضي المظالم قد اضطلع في التاريخ الاسلامي بممارسة اختصاص قضائي . أبرزه النظر في الشكاوى التي ترفع على الحكام وعمال الخراج ، فهو نوع من القضاء الاداري . وقد عرفته البلاد في تاريخها الحديث بصدر نظام مجلس الوزراء القديم في سنة ١٣٧٣ الذي ينص على تأليف شعبة للمظالم في ديوان مجلس الوزراء تختص بالتحقيق في الشكاوى التي تقدم أو تحال اليه . واعداد تقرير عنها والاجراء المقترح اتخاذه بشأنها . ليرفع بعد ذلك الى جلالة الملك ليصدر أمره فيه .

وقد أعطي لرئيس الديوان أو من يخوله من موظفيه حق استجواب أيا كان من موظفي الوزارات والمصالح والتحقيق معهم . ويحق للرئيس أن يقترح احالة أي موظف تثبت علاقته بأية شكوى الى مجلس تأديبي أو أن يقترح معاقبته بالطرق الادارية .

وبعد فترة قصيرة صدر نظام جديد لديوان المظالم يمارس الديوان بمقتضاه سلطانه . وتنحصر اختصاصاته فيما يلي :

• **التحقيق في كل شكوى** تقدم أو تحال اليه . واعداد تقرير عنها يتضمن وقائعها وما أسفر عنه التحقيق فيها . والاجراء الذي يقترح الديوان اتخاذه بشأنها والأسباب التي يستند عليها الاجراء المقترح .

• **ارسال التقرير** المتضمن لوقائع الشكوى الى الوزير أو الرئيس المختص . مع ارسال صورة عنه الى ديوان جلالة الملك . وصورة أخرى الى ديوان رئاسة مجلس الوزراء . وبموجب التعديل الجديد أصبح الوزير أو الرئيس المختص للجهة التي يتبعها الموظف ملزماً بتنفيذ ما جاء في هذه التقارير . أو الاعتراض عليها خلال أسبوعين من تاريخ استلام التقارير . وفي حالة أي اعتراض يبين الوزير أو الرئيس المختص أسباب معارضته . وعندها يرفع رئيس الديوان الأمر الى جلالة الملك ليصدر قراره بما يراه مناسباً . وقد جعلت هذه الاختصاصات من ديوان المظالم هيئة قضائية واسعة النظر

### تقدير نظام القضاء في المملكة

ان النظام القضائي في المملكة العربية السعودية القائم في كليته على الأصول الشرعية . والذي يعتبر امتداداً متصلاً بالقضاء الاسلامي . منذ نشأته وعلى توالي العصور . يقوم على البساطة في الاجراءات ، مما يجعله قضاء سريعاً وعملياً . وهذا القضاء ، كما يقول بعض الكتاب ، أقرب الى العدل الحقيقي من القضاء المعقد البطيء ■

# الطفـل

بقلم الاستاذ عبد العزيز ضياء

♦♦♦

أن يرتمي على ذراعيها باكيا الى أن يهدأ جأشها وتنهض لتبدأ عملها الريب .

ومن الحقائق التي أدركها أيضا . ان حكاية عودة أبيه حكاية خيالية . تخترعها أمه اختراعاً كالكثير من هذه الحكايات التي يسمعاها من السيدات العجائز اللاتي يزرن أمه بين الحين والحين . وأخذ يدور بذهنه في متاهات لا حصر لها . ألف أن يضع في حواشيها . واستطاع أن يخرس كل محاولة للخروج منها . حين رأى كيف تترقق الدموع في عيني أمه كلما دار الحديث بينه وبينها عن الغائب الذي لا يريد أن يعود .

وفي ذات يوم . قالت له أمه : بعد غد السبت سأذهب بك الى المدرسة . وسنذهب اليوم الى السوق . لأشتري لك حقيبة . وأقلاما ودفاتر وأشياء كثيرة أخرى .

**حين** وقفت به أمه أمام مدير المدرسة . وقالت انها زوجة « عبد الرحمن توفيق » . وان هذا ابنه ابراهيم . رأى في وجه المدير اهتماما وحفاوة وترحيباً . وحين ذهبت أمه . وتركته في غرفة المدير . سمع هذا يقول لكاتب بجانبه : « كان أبوه رجلا فاضلا . سافر من البلد . وهذا الولد في بطن أمه . والعجيب ان أحدا لا يعلم أين هو . منذ غادر البلد حتى اليوم .. لم يبعث حتى برقية الوصول . يقال انه في الهند . ولكن الهند كبيرة كما تعرف . والله يعلم أين يعيش .. ان كان ما يزال حيا . » ثم التفت الى ابراهيم وسأله : « ألم تصلكم أخبار من أبيك يا ابراهيم ؟ » .. وطأطأ رأسه لا يحير جوابا . وشغل المدير بما أمامه من العمل . ثم قام الكاتب . وأخذته معه الى أحد الفصول .

وطوى ابراهيم أربع سنوات من المرحلة الابتدائية بنجاح . وحين استطاع أن يقرأ ويكتب تفتح ذهنه على كثير من حقائق الحياة . وكان أهمها انه يعيش على شقاء أمه وسهرها الليالي الطويلة وراء آلة الخياطة . ولا بد له أن يفعل شيئا ليخفف من عنائها ان لم يستطع أن يريحها

الطائف . أو غيرها من هذه المدن التي يسمع ان الآباء يسافرون اليها بين الحين والحين .

وفتح الباب لاهتا ليجد أمامه رجلا يحمل حقيبة معلقة على كتفه وفي يده ظرف . يسأله عن بيت أحد الجيران . وابتلع ابراهيم أمه الضائع . وتطوع فمشي مع ساعي البريد الى بيت الجيران . ونادى أحد الصبية من لداته . ورأى بعينين ذاهلتين . كيف استلم الصبي البرقية وكيف طار بها الى داخل المنزل . وهو يهتف : ماما ... يا ماما .. برقية من أبي ..

**وعاد** ابراهيم الى بيته . وفي ذهنه ان الآباء يرسلون هذه التي يسمونها برقية تخبر أبناءهم بما يريدون . وقفز الى ذنبه سؤال : ترى لم لا يرسل أبوه برقية . كما يفعل جميع الآباء .. ؟ وعاد بذكرته الى السنين التي مضت من عمره . ليجد انه لم يسمع قط ان أباه قد أرسل برقية . أو ان أمه حدثته عن شيء من هذا النوع .. منذ وعي الحياة حتى اليوم .

ولا يدري لم تهيب أن يوقظ أمه في هذا الصباح وأن يسأله السؤال الوحيد الذي لم يسبق له أن فكر في توجيهه اليها قط . وارتمى في فراشه بجانبها . ولم يستطع أن يمسك دموعا ظلت تتلاحق على وجنتيه الشاجتين في صمت .

وعلى مر الأيام أخذ ابراهيم يدرك من حقائق الحياة ما لم يكن يدركه من قبل . وكان أهم ما أصبح يعيه ولا يستطيع له تفسيراً . هو ان أمه تعمل . وان الزائرات الكثيرات اللاتي يغشين البيت . يأترن بالأقمشة تخطيها هن تم تأخذ على كل فستان أجرا . ومن هذه الأجور التي تبعته لمطالبتهن بدفعها مرات ومرات . تؤمن ما تنفق به على نفسها وعليه . وانها كثيرا ما تورطت في نزاع مع اللاتي لا تعجبهن حياكتها ويبلغ النزاع حد الشجار . فيقذفن في وجهها الأقمشة . ويسمعنها كلاما قاسيا . فاذا ذهبن عن البيت . استسلمت للبكاء في صمت . ورددت في تأوه عميق حزين كلمة واحدة لم يسمع سواها قط . وهي : ( يارب ... يارب .. يارب ) فلا يملك الا

لذكر شيئا عن أبيه . الا ما تحدثه به أمه . كلما رأى أمثاله من الأطفال يمشون صحبة آبائهم الى المدرسة أو الى الأسواق في الصباح . ولم يستطع أن يتخيل وجه هذا الأب قط . وان كانت والدته تؤكد انه يشبه أباه في كل قسمة من قسماته . بل حتى في حركة يديه حين يتكلم . وفي مشيته حين يمشي . وفي ارتفاع جبهته واشراقها على الأخضر .

ومع ان امه كثيرا ما كانت تضيق بأسئلته المتلاحقة الملحة . فقد ظل يتلهف على سماع أي حديث عن أبيه . فيبتكر الوسائل ويحتال الحيل لاغرائها بالتحدث عنه . خصوصا حين يتناول عشاءه معها بعد الغروب . أو حين تأخذ في تهية فراشه للنوم .

وكان مما سمعه واستقر في أغوار نفسه . ان أباه كان يحفظ القرآن الكريم . ويصلي في رمضان صلاة التراويح اماماً . يقرأ فيها أجزاء كثيرة من المصحف . فاذا انتهى من الصلاة احتفل به المصلون . ومنهم من يقدم له الهدايا يعود بها الى منزله قبل مدفع السحور .

وبقدر ما كان معجبا بهذه الصورة عن أبيه . كان تشوقه لرؤياه . ولم يحدث أن قالت له أمه انه مات . كما يموت كثير من الناس .. كانت تؤكد له انه قد سافر منذ زمن طويل . فاذا سأله : متى يعود ؟ تكتفي بأن تقول له انه سيعود عندما يفرغ من عمله في المكان البعيد .

ولم تقل له أين هذا المكان . فاذا اشتد في الحاحه عليها بالسؤال . تكتفي بأن تشير بيدها اشارة لا يفهم منها الا انه مكان بعيد جدا . لا سبيل الى أن يعرف عنه شيئا على الاطلاق .

وفي ذات صباح باكر . سمع باب البيت يطرق . وكانت أمه ما تزال نائمة . فركض لاهتا . وفي قلبه الصغير أمل محموم بأن الذي يطرق الباب في هذا الصباح هو أبوه ... سيراه حين يفتح الباب . وسيقذف نفسه بين ذراعيه . وسيحملة أبوه على كتفه كما يفعل جميع الآباء مع أبنائهم حين يطبلون الغياب في مكة أو في





ع. قاضي

من العمل تماما . وشرع يتبع اعلانات الوظائف الشاغرة في الصحف ، ويقرأ هذه الشروط التي تنشر الى جانب كل وظيفة . وعجز أن يجد بينها وظيفة واحدة ، يمكنه أن يلتحق بها دون أن يحمل الشهادة الابتدائية . وكان بينه وبين السنة النهائية ستان بكاملهما .. كان في أول السنة الخامسة ، ولا سبيل الى الشهادة الا بعد سنتين . وفهم من زملائه انه يستطيع أن يتقدم للشهادة من المنزل ، فينال الشهادة بعد عام . وصمم على أن يخطو هذه الخطوة حين كان في الحصة الأخيرة من يومه الدراسي ، وما كاد يخرج من باب المدرسة ، حتى أسرع خطاه الى البيت .

**طرق** الباب في استعجال لاهث . وما كاد يرى أمه حتى هتف :  
سأناك الشهادة في نهاية العام .. سأختصر سنة بطولها ، وقبل أن تماسك من دهشتها ، قال : وبمجرد أن أحمل الشهادة سأتوظف .. أتوظف يا أمي وتستريحين أنت من هذا التعب ، وقفز يأخذ وجهها بين يديه ويغمره بالقبلات ..  
ورأى كيف يحتقن وجهها ، وتمشي في قسماته سحابة من حيرة وارتباك .. انظر أن تقول له أي كلمة ، فلم يسمع منها شيئا ، وقبلته قبلات أحسن انها اقل حرارة من تلك التي عهدا منها كلما جاءها بشهادة من شهادات النجاح ، أو بأخبار الشفاء الذي كان يجده من المدرسين . ودخل الغرفة التي تستقبل فيها زائراتها فرأى سيدة لم يسبق له أن رآها من قبل . وقالت أمه : هذا ولدي ابراهيم ثم التفتت اليه تقول : « هيا

ولم يطل به الانتظار ، فقد سمع أمه تودع السيدة وهي تردد : « يختار الله ما فيه الخير .. » . وسمع السيدة تقول : « كل شي » قسمة ونصيب . «  
وحين دخلت أمه الغرفة التي قبع في ركن منها ، رأى في عينيها انها قلقه حائرة .. تريد أن تقول شيئا .. أشياء كثيرة ولكنها لا تستطيع ..

وعادت الى ذهنه صورة الرجل المجهول الذي سيحبه ، كما يحب ابنه ، وامتألت نفسه بهذه الصورة ، ووراءها مشاعر غامضة .. غاص لها قلبه الصغير .. وظل هو أيضا يريد أن يقول شيئا فلا يستطيع ..

وأخيراً استطاع أن يهمس : ماما .. من هو الذي تتحدث عنه السيدة التي كانت هنا ؟

أذهب واخلع ملابسك ، واغسل وجهك ، وسألق بك .. وخرج من الغرفة متباطئا ، وما كاد يمضي خطوتين حتى سمع السيدة الزائرة تقول : « سيحبه كما يحب ابنه ، بل هو يحبه منذ زمن طويل .. كثيرا ما حدثني عن ذكائه وجده واجتهاده . »

ومشى وهو يتسائل : ترى من هو هذا الذي تتحدث عنه السيدة الزائرة . وقبل أن يضع حقيقته في ركن الغرفة ، كان يرى صورة رجل .. مجهول .. هو الذي جاءت السيدة من أجله ، وكانت ما تزال تتحدث عنه . وتساءل « ماذا يعني هذا ؟ » .. واستطاع أن يطرد عن ذهنه فكرة العودة الى المرر لسمع المزيد ، ويعرف ماذا هناك .

وكأنما قد ألقى إليها بما ينتشلها من الغرق ،  
فقالت : انه .. انه مدير مدرستك يا ابراهيم .  
وهذه أمه .. ولكنها لم تستطع أن تقول شيئاً .. فقد  
التزمت الصمت ، وانصرفت تعد له غداءه .. وفي  
نفسها انه قد فهم كل شيء .

بعد ابراهيم الى الحديث عن الشهادة  
التي سيتقدم اليها من المنزل ، وضاعت  
أحلامه الكبيرة في النجاح الذي قرر أن يعمل له  
ليتوظف ، وليربح والدته من العناء الطويل .  
وحين خرج من البيت الى المدرسة في صباح  
اليوم التالي ، كان يعلم ان مديرها قد خطب أمه  
لنفسه ، وانه هو الرجل الذي سيحبها كما يحب  
ابنه .

ولمح المدير وهو يدخل فناء المدرسة ، فأغضى  
وأطرق ، ومشي بين لداته ، وكأن بحراً لا قرار له  
يلتهم كيانه الصغير ويلفه في أحشائه ، فلا  
يستطيع أن يستسلم لمصير غامض بعيد .

وخلال حصة الفقه التي كان يلقها المدرس  
كان ذهن ابراهيم مشغولاً بأمة التي لم يعد يشك  
في أنها ستزوج المدير .. ثم بأبيه الذي قالت له  
مئات المرات ، انه يشبهه هو في كل قسمة من  
قسماته ، بل حتى في حركة يديه حين يتكلم ،  
وفي مشيته حين بمشي ، وفي ارتفاع جبهته على  
الأخص . واستطاع أن يجمع شتات ذهنه ،  
وأن يقول لنفسه أن المدير لا يشبهه في شيء أبداً ،  
فهو لا يشبه أباه إطلاقاً . وردد كلمات السيدة ،  
والدة المدير ، وهي تقول : انه سيحبها كما يحب  
ابنه .. وغاص قلبه مرة أخرى ومرات ، فقد كان  
يعتقد ان الوحيد الذي يحبه في هذا العالم هو هذه  
الأم التي لم ير في حياتها سواه ، ولم يشعر قط  
بمن يعطف عليه سواها . وأوغل في التفكير الى أن  
وجد نفسه يتساءل : ترى أين سينام حين تزوج  
أمه المدير ؟ .. لن ينام الى جانبها ، ولن يسمع  
حكاياها الحلوة ، ولن تجيبه على أسئلته الكثيرة  
عن أبيه الذي سافر ولم يعد ، وعن حفظه للقرآن ،  
وصلاته اماماً في رمضان .

وانتبه على صبيحة من مدرس الفقه وهو يوجه  
اليه سؤالاً لم يكن قد سمعه ، ولم يكن في ذهنه  
ما يجيب به عليه . وكانت هذه أول مرة ، يسمع  
فيها مثل هذه الصيحة ، ووراءها كلمة تأنيب

كثيراً ما حرص على أن لا يسمعها من المدرسين .  
وقبل نهاية الشهر ، كان كل شيء قد تم ..  
وحين عاد من المدرسة بعد ظهر يوم الخميس ،  
كان يعلم ان أمه — وهو معها — سيغادران بيتهما  
الى بيت المدير . وظل السؤال الذي لم يستطع أن  
يوجهه الى أمه هو : أين ينام حين يذهب معها  
الى البيت الجديد ؟ ..

ورأى وجه أمه وهو يدخل عليها بعد الظهر ..  
ذابلاً شاحباً ، ورأى في عينها بقية من دموع .  
وبكى .. بكى كما لم يكن في حياته قط ، وبكت  
هي أيضاً وهي تضمه الى صدرها النحيل وتغمر  
وجهه بما لا حصر له من قبل فيها كل ما  
تستطيع لارضاها فيما بدا لها انه كارثة بالنسبة  
للطفل الصغير .

ومع ذلك ، لم يستطع أن يسألها أين ينام في بيت  
المدير ..

وقت الظهيرة بطيئاً ثقيلًا .. كانت  
أمه خلاله تجمع أمتعتها في الحقيبة  
الكبيرة ، وقد رأى بينهما أردية جديدة ذات ألوان  
وزخافات عطر وزخارف مما يتحلل به النساء ..  
ورأى أمتعته هو ملقاة هناك على طرف الوسادة ،  
وبينها الخذاء الجديد الذي اشترته له في عيد  
رمضان .. ترى هل تفكر أمه في أن تتركه وحده  
في هذا البيت ؟ .. وأن تذهب وحدها الى بيت  
المدير ؟ قال لنفسه : ليتها تفعل .. وردد أمنيته  
وهو ما يزال يغص بدموعه ، وهي ما تزال دامعة  
العينين . تجهش بالبكاء كلما ألقت عليه نظرة .  
ورأت انه ما يزال يجتاز طريقه الوعرة الى المصير  
المجهول .

وفي لحظات الغروب ، أخذ الباب يطرق بين  
الفينة والفينة . وتدخل منه سيدة من الجارات  
والمعارف اللاتي سيذهبن مع أمه الى بيت العريس ،  
فلا تكاد الواحدة منهن تراها باكية شاحبة حتى  
تشتق هي أيضاً وتأخذ في البكاء ، مع كلمة من  
كلمات المواساة والعطف والتشجيع .

وقالت احدها : ستأتي السيارة بعد صلاة  
العشاء .. قال أبو محمد انه سيصلي العشاء .  
ويجيء ليأخذنا .

وقالت أخرى : وأبو حامد أيضاً سيأتي  
بسيارته ، ومعه الرجال . وابراهيم ..

وأدرك ابراهيم . انه لن يبقى في هذا البيت منذ  
اليوم .. سيذهب مع أمه الى بيت المدير . ومرة  
أخرى ، وجد نفسه يقول : كلا ان المدير لا  
يشبه أبي إطلاقاً . ولن يحبني كما يحب ابنه ..  
وحتى أمي .. وابتلع أفكاره عن أمه ، فقد كان  
لا يطبق أن يتصور أن يحرم منها هي أيضاً ..  
وارتفع بوق سيارة قالت كل سيدة انها ليست  
سيارة احدها .. وعقبت أخرى : لعلها مرسلة  
من العريس .. وهتفت ثالثة تقول : قم يا ابراهيم  
وانظر من هناك ؟

ونهض ابراهيم متاثلاً ، وهو يسمع من يناديه  
هو بالذات .. كلا لم يكن صوت طفل من  
الأطفال ، ولم يكن صوت المدير ، ولا صوت  
أحد من الجيران .. وقبل أن ينتهي من الممر .  
رأى أمه تركض خلفه . وتهتف : أبوك ..  
أبوك .. يا ابراهيم ..

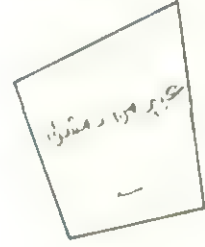
وارتفعت ضجة النساء . وكل منهن تهتف :  
أبوك .. أبوك .. أبوك عبد الرحمن ، يا ابراهيم ..  
وأحس ابراهيم بأن كل شيء حوله يدور ..  
وتلاشت الضجة التي ملأت الممر ، وساد  
الصمت .. ولم يعد ابراهيم يعي شيئاً مما حوله .  
وحين فتح عينيه رأى وجهاً حانياً عليه .. كان  
هو .. الرجل الذي يشبهه في كل قسمة من  
قسماته ، وفي ارتفاع جبهته وشارفها على  
الأخص ..

عينه في المكان . فرأى رجالاً  
كثيرين . ورأى المدير ، ومدرس  
الفقه ، وسمع صوت أبيه لأول مرة ، وهو يقول :  
« الحمد لله .. انه بخير » وسمع رجلاً عرف أنه  
الطبيب ، وهو يقول : « فعلاً انه بخير .. »  
وسمع النساء خارج المكان يتهايمن : « لقد  
صحا .. صحا .. اطمشني يا أم ابراهيم انه  
بخير .. » وحمله أبوه على صدره ، ونهض به  
وهو يقول : « طريق .. طريق يا جماعة » ،  
وانطلق في الممر الى الغرفة التي ينام فيها ابراهيم ..  
كان فراشه هناك . وكانت أمه في ركن الغرفة مع  
بقية النساء .

ونام ابراهيم ليلته ، وحين استيقظ في الصباح ،  
رأى نفسه لأول مرة يجلس لتناول افطاره مع  
أمه وأبيه ...



# حصار الكتب



عبد الرحمن وسبق

تتقاطع في هذا الديوان الجديد للشاعر عدنان مردم بك صور شاعرية كثيرة تتممها صور فنية وأخرى من بنات التأمل والتفكير وغيرها من صور العبريات في أمصار شتى .

ويكاد الوصف يكون الطابع الشامل للديوان كله . فليس فيه موضع لجو أو غزل . ولا فيه قصائد من العنثرات المدويات . ولا يتدرج فيه شعر المناسبات ولا يحفل بشعر السياسة . وهو جميعا من الشعر الذي استقامت أوزانه وتواترت قوافيه واكتملت له موسيقاه كما عهداها العرب القدامى وكما وصفها الخليل بن أحمد .

و «دمشقيات» مردم بك فيها مراثي الغوطة والقلعة والربوة . وفيها لوحات من رسم فنان صناع للبرق وسنابل القمح والتاعورة والصفصافة وزهر شقائق النعمان . وفيها مأثورات شعبية تخلد في الشعر صناعة الخزاف والنساج والبراز وبائع شراب السوس والحمال . بل فيها تصاوير مستمرة من هوامش الحياة ، عدا مفاخر تاريخية حفل بها الشام في سحيق أيامه .

ويؤخذ من التواريخ المختلفة التي ذيلت بها قصائد الشاعر أنها نظمت في فترات متقاربة أو متباعدة تمتد في جملتها الى عشر سنوات . فجاء شعر الديوان مترجحا بين القوة في أغلبه والضعف في أقله . وصافحت العين تشابها في بعض الأبيات فضلا عن تكرار في بعض المعاني هو نتيجة طبيعية لقوات زمن فاصل بين تاريخ نظم قصيدة بعينها وتاريخ نظم غيرها .

فمن المعاني المكرورة التي تكاد تتطابق قول الشاعر في قصيدة :

شابت ذؤابتها وما وهنت

قدم على الأحداث من دعر  
وقوله في قصيدة غيرها نظمت بعدها بعام :

لم يطفها ترف وما وهنت

قدم لها يوما على عسر

وعبارة « شابت ذؤابتها » قد تكررت أربع مرات في الديوان . كما تكرر حديثه عن سيئاء و «موسى الكليم» في مواضع كثيرة وعن «عبد شمس» في مواضع متعددة . أما السيوف والرماح بأسمائها المختلفة بين «مهند» و «نصل» و «ذباب» فهي كثيرة الوقوع في شعر الشاعر ، وربما لاستيحاءاته العبريات في شعره .

والجيد في شعر مردم بك ينتصب في وضوح قسماته وجللاء صورته وبراعة رسمه أروع انتصاب . ومن ذلك وصفه البالغ الروعة للبرق حيث يقول :

أعلامه النيران تصطفق

في شاسع وهنا وتأنق  
عصفت غواربه مجلجلة

بغوارب للنار تحترق  
وذكرت مشاعله مشعشة

أنوارها وكأنها الشفق  
من دونه تجد السحاب دجت

أسجافه وكأنها طبق  
يجري الغمام العمر دون هدى

متعثرا حيننا وينزلق  
واذا الرياح حدث به نرفت

حدق له واستعبرت حدق  
والبرق يسم عن لآلئه

في جنح ليل حشوه القلق  
ويقول في وصفه سنابل القمح :

طالت أعاليها ودق جليلها

كذاب نصل غربه يتفرق  
فتشابه اللونان : أخضر مشرق

من دونه يفر أبيض مشرق  
وترى السنابل أشرقت أعرافها

والفجر من خلف الغمام أزرق  
فيخف في طرب إليها صادق

وينوح من برح الحنين مطوق  
في كل حبة حنطة لارادة

معنى يطيش به البيان المشرق  
وثدت لتبعث حبة فاذا بها

في كل عام تستجد وتخلق  
أما عبارات الحكمة المصطفاه ، فهي مبثوثة

في شعر عدنان مردم بك كقوله :  
واذا العجائب أن كل عجيبة

مرهونة يوما بطي كتاب

وقوله :

لا تكذب التاريخ مفتشتا

فالحق لا تعلق عليه يد

وقوله :

وأفض أنوع العمى وأجلها

عقل ضيرر بالغباوة معرق

في الذبح والحيمة

هذا الكتاب مجموعة من المقالات الأدبية التي اتخذ فيها الأستاذ وحيد الدين مواقف محددة من مسائل أدبية تشغل الاهتمام ، وإن كان يعيبه أن الحماسة والانفعال غلبتا على رصانة البحث ، كما أنه اقتضب الحديث في موضوعات تتسع لاطالة مجال القول ، وتحتمل كثيرا من التفصيل في المعالجة .

ومن الموضوعات التي تعالج جانب الأدب ، وهو أحد جانبي موضوع الكتاب ، ما كتبه وحيد الدين عن حرية الفكر والتفكير ، وعن نظراته للأدب ، وعن تفاهات الأدباء ، وعن أخلاقيات الناقد ، وعن الكتاب والمكتبة والمطالعة ، وعن الواقع الأدبي ، وعن النزاهة الفكرية ، وعن أدب نجيب محفوظ ، والأدب الذي نريده ، وواقع الكاتب المعاصر ، وما الى ذلك . أما الموضوعات التي تناولت جانب الحياة ، وهو القسم الثاني من بحوث الكتاب ، وإن يكن المؤلف قد مازج بين القسمين ، ولم يفرق بينهما ، فقد كان منها ما يدور حول الانسان وقيمه الثابتة ، وحول تعاقب السنين ودورات الأيام ، وحول ميلاد ابنته ، وحول الخريف وما يوحي به . وحول الموت وجلاله ، وما الى ذلك .

وللكاتب مواقف يعلنها ويلتزمها في كتابه . فمن رأيه أن الأديب ينبغي أن يحرص على أن تكون جميع آرائه متسقة غير متناقضة ، فلا يقول اليوم رأيا يعارضه في يوم غيره . وربما جازت مناقشة هذا الموقف ، والقول أن الجرأة الأدبية تحمد من الأديب أو المفكر اذا ما ارتأى اليوم رأيا ثم عدل عنه في غد الى رأي أصوب منه وأعدل . فالمازني مثلا كان شديد الحملة على صديقه الأديب الشاعر عبد الرحمن شكري ، ولكنه ندم على هذا في أخريات حياته بما أذاعه

على الناس ونشره ، قائلا ان اندفاع الشباب هو الذي كان رائده في الحملة على شكري ، وانه لا يخجل من اعلان أسفه على ذلك . ومصطفى صادق الرافعي الذي حمل على العقاد فسي « سفوذه » ، عاد في رسائله التالية يقرّ العقاد بمكانته الأدبية الرفيعة . بل ان العقاد الذي حمل على شوقي الشاعر حملة عنيفة ، قال لي في مجلس خاص انه كان في حقيقة الأمر يحمل على أخلاق شوقي ، لا على شعره وأدبه . فعدول هؤلاء الكتاب عن آراء سبق لهم ابدواها متحاملين ، هو محمّلة ينبغي أن يشاد بها وتذكر لهم .

كذلك يرى وحيد الدين أن الالتزام في الأدب ليس له الا مؤدى واحد هو أن يلتزم المفكر ما يراه من آراء يستوحها من ضميره وأحاسيسه ونزاهته ، فلا يكون ملزما على قبول ما يخالف الضمير والأحاسيس والنزاهة . وهذا لعمرى هو الرأي السديد في موضوع الالتزام . وان كان دعائه لا ينفكون يخلطون بين ما يلتزمه الأديب من وحي ورغبته وسليقته وبين ما يعلى عليه من خارج ذاته . وشتان بين الموفين .

وبالعالم وحيد الدين موضوعا آخر عن واقع الكتاب المعاصر ، فيرى أن الأدباء في الحياة المعقدة المعاصرة مضطرون الى مزاوله عمل يرتبط به رزقهم ويكفل لهم معاشهم ، حتى وان التهم كل وقتهم . فان بقيت لهم بعد ذلك فسحة من وقت أو عافية ، صرفوها في مشاغل الأدب . وهو يرى أن هذا الوضع يحول بين الكاتب وبين الانصراف الى الانتاج الحقيقي الأصيل الناضج انصرافا كلياً . ولئن كان وحيد الدين قد عرض المشكلة ، فهو لم يشر برأي في حلها .

ولكتاب وحيد الدين ذيل كتبه الدكتور صفاء خلوصي ، يقول فيه : « ان من يقرأ كتابات وحيد الدين يشعر بسعة اطلاعه وتنوع ثقافته وكثرة مطالعته » ، ولو قال « انفعال عاطفته وجمال أسلوبه وسمو مثالياته » لكان أدق وأصوب .

## الخبر الكسبي

صدرت ترجمة عربية للكتاب الذي وضعه أخيراً العلامة الدكتور فيليب حتّي بعنوان « صانعو التاريخ العربي » ، وقد قام بالترجمة الدكتور أنيس فريحة .

صدر للأديب الكبير محمود تيمور مؤخرًا كتابان جديدان ، أحدهما بعنوان « بين المطرقة والسندان » وهو يتناول أحاديث جرت بين المؤلف

والصحف والاذاعات المختلفة ، والثاني بعنوان « الشخصيات العشرون » وهو عنوان جديد لكتابه السابق « ملامح وغضون » أضاف اليه تيمور عدداً من الشخصيات الأدبية التي رسم صوراً أدبية لها ، من أمثال لطفي السيد . وطه حسين ، وعبدالعزیز فهمي ، وهيكمل باشا ، والعقاد ، وأحمد أمين ، ومنصور فهمي ، وانطون الجميل ، وغيرهم . من كتب التراث التي صدرت أخيراً « معاني الشعر » للشاننداناني المتوفى سنة ٢٨٨هـ ، وقد حققه العلامة الراحل الأستاذ عز الدين التنوخي . وأشرف على انجاز طبعه الأستاذ عبد الهادي هاشم ، و « المعلقات العشر » وقد حققها وقدم لها الأستاذ فوزي عطوي ، و « إعلام الموقعين عن رب العالمين » لابن قيم الجوزية وقد صدر في أربعة أجزاء بتحقيق الأستاذ عبد الرحمن الوكيل ، وتقديم الأستاذين عبد الوهاب عبد اللطيف والسيد سابق ، و « الاملاخ في علوم الحديث » للقاضي عياض وقد حققه الأستاذ السيد أحمد صقر ، و « الذيل والتكملة » للمراكشي وقد ظهر منه جزءان بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة . أصدر الأستاذ علي الجندي ، العميد الأسبق لكلية دار العلوم ، كتاباً طريفاً في أربعة أجزاء عنوانه « الجن بين الحقائق والأساطير » .

من الدراسات الأدبية الجديدة ظهرت هذه الطائفة : « الأدب العربي الحديث : دوافعه وآفاقه » للدكتور علي شلق ، و « تاريخ الصحافة السورية » في جزئين للدكتور شمس الدين الرفاعي ، و « تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث » للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، و « فن الخطابة » للأستاذ ايليا حاوي .

ترجم الأستاذ عيسى الناعوري الدرامسة الشعرية المسماة « مأساة الانسان » وهي للشاعر ايمري موداتش .

ومن دواوين الشعر التي صدرت مؤخرًا « رباعيات الحياة » للشاعر المهجري أنيس بقله ، و « وراء السراب » للشاعر وصفي قرنفلي . كما صدر للشاعر المرحوم الراحل الأخطل الصغير بشارة الخوري كتابان من نثره هما « من بقايا الذاكرة » و « أحداث وأعلام » كذلك ظهر كتاب جمع الشعر الذي قيل في الأخطل بعنوان « قالوا في الأخطل » .

في الأدب الروائي بفنونه المختلفة ظهرت الكتب التالية : « لمحات من المسرح العالمي » للسيدة جاذبية صدقي ، ورواية « أم سعد » للأستاذ غسان كنفاني ، ومجموعة أقاصيص

بعنوان « عاشق الحياة » للأستاذ عبد السميع المصري ، و « الطلسم » مجموعة أقاصيص للأديب الجزائري محمد ديب وقد ترجمها عن الفرنسية الأستاذ جورج سالم . و « خلفية الزقاق » مجموعة أقاصيص للأستاذ بديع بغداددي .

من كتب التراجم والسير التي صدرت حديثاً : « أبو نواس .. شاعر من عبقر » للدكتور زكي المحاسني ، و « أبو القاسم الآمدي » للأستاذ محمد علي أبو حمدة ، و « بدر شاكر السياب » للدكتور احسان عباس . وطبعة ثانية من « فارس بني عيس » للأستاذ حسن عبد الله القرشي . و « ليوناردو دافنشي » تأليف فرويد وترجمة الدكتور أحمد عكاشة ، و « محمود أحمد السيد رائد القصة الحديثة في العراق » للدكتور علي جواد الطاهر .

من الكتب المتنوعة التي صدرت مؤخرًا هذه الطائفة : « العقليون والدوقيون أو النظر والعمل » للدكتور أحمد محمود صبحي ، و « دراسات في الاشراف الفني » للأستاذ سيّد حسن حسين ، و « العمارة » تأليف لامونت مور وترجمة الأستاذ محمد توفيق محمود ، و « الجغرافية الطبيعية » و « الجغرافية البشرية » وكلاهما للدكتور فيليب رفلر والأستاذ أحمد سامي مصطفى ، و « طفولتي » للدكتورين أبو الفتوح رضوان وممدوح جبر . و « أضواء على الدبلوماسية » للأستاذ أحمد عبد المجيد ، و « المعلم الحديث في الميكانيكا » للدكتورين أحمد حماد وفهمي ابراهيم ميخائيل .

## كتب هدية

حظيت مكتبة القافلة مؤخرًا بهذه المجموعة من الكتب والمؤلفات القيمة :

- « التفسير القرآني للقرآن » في ٢٤ جزءاً يضمها ١٢ مجلداً .
- « اعجاز القرآن » ويقع في مجلدين .
- « النبي محمد انسان الانسانية ونبي الانبياء » .
- القضاء والقدر بين الفلسفة والدين » .
- « الله .. ذاتا وموضوعا » .
- « الله .. والانسان » .

وجميع هذه المؤلفات للعلامة الكبير الأستاذ عبد الكريم الخطيب .

« لبنان .. بين مشرق ومغرب » للأستاذ الكبير محمد جميل يهيم .

« محنة بيت المقدس » و « بن غوريون » وكلاهما للمؤرخ الاستاذ محمود العابدي ■





# الهدايا البحرية والأسماك

مكتبة دار الفنون

**الصِّبْغَات** هواية جمع الودع والأصداغ المحببة لى كثير من الأشخاص . وتتميز هذه الهواية بأنها تطبع في نفوس ممارسيها رغبة ملحة في جمع أكبر عدد ممكن من العينات الودعية والصدفية ، وخصوصا النادرة منها والتي قد يصل ثمن الصدفة الواحدة منها أحيانا الى ما يوازي ٥٠٠٠ ريال .

ويتشتر هواة جمع الودع والأصداغ في أنحاء مختلفة من العالم ، ويشمل هؤلاء الرجال والنساء والأطفال على حد سواء . وتجذب هذه الهواية مزيدا من هواة اليها كل عام ، ففي عام ١٩٥٦ بلغ عدد هواة جمع الودع والأصداغ في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها نحو ١٠٠٠٠ هاو ، مقابل ما يقارب ١٠٠٠٠٠ هاو حاليا .

ومن المرجح أن تاريخ نشأة هذه الهواية ترجع الى عهد مغرق في القدم ، وهي موجودة حيث يوجد الانسان ، ولم تكن دوافعه الى ممارستها مجرد رغبة في تسلية أو متعة تلازم نوعا من الودع أو الأصداغ دون آخر ، اذ تعددت هذه الدوافع واختلفت بين أمة وأخرى باختلاف حضارات الأمم وثقافتها . فقد جمع الرومان والسكسونيون والهنود الاكوادوريون أصناف الودع لاعتقادهم بأنها تجلب الخصب والصيد . أما هنود أمريكا فكانوا يسمون الصدغ «وَمِمْ- Wampum» وكانوا يستعملونه كعملة يتداولونها فيما بينهم . وفي الشرق ، دأب الفينيقيون على استخراج الأصباغ من الأصداغ . ويروى أن «أرسطوطاليس» قد تناول في مؤلفاته بحثا عن الصدغ . ويدرس علماء الاحاث في أيامنا هذه

ويبدأ هواة جمع الودع والأصداغ هوايتهم بجلب عينات من الودع الملون يلتقطونها من الشواطئ القريبة ، ثم لا يلبثون مع نمو هذه الهواية في نفوسهم أن يبدؤا مزيدا من الاهتمام بالتعرف الى أنواع الأصداغ وأسمائها وخصائصها ويركزون اهتمامهم على ما تعكسه هذه الاسماء من تطابق أو تباين مع الواقع . فهم مثلا لا يعلمون اذا كان «الحازون البحري» المرغوب فيه كثيرا

أحد هواة جمع الودع والأصداغ وهو عاكف على مجموعته ينظف عيناتها ويصنفها ويقارنها بما هو مثبت في فهارس الودع والأصداغ المصورة .





« Much—desired Volute » — وهذا اسم نوع من الحلزون — مرغوبا فيه حقا ، وينطبق القول نفسه على « الصدفة الخضراء ذات النقوش النسيجية— Tapestry Turbon » وصدفة « أذن البحر الجميلة— More Beautiful Abalone » كما أنهم يعجبون كيف يدعى صنف من الودع « الكوري الأرمني — Armenian Cowrie » في حين أنه يوجد في أستراليا ، أو لماذا يسمى صنف آخر « الكوري العربي الصغير — Little Arabian » في حين أن موطنه أواسط أمريكا .

كذلك يعجب الهواة ان كان « الكوري الغادر— Clandestine Cowrie » قد أتى فعلا ما يستحق عليه صفة الغدر ، أو لماذا تلوث « الكوري الملوث— Sypraea Contaminata » وهل تعكس أسماء مثل « الحلزون المرقط— Snakeskin Nerile » وصدفة « السن الدامي — Bleeding Tooth » و«أصداف فلوريدا الحلزونية المقاتلة — Florida Fighting Conch » و « الكوري ذو الرأس التنيني — Dragon's Head Cowrie » و « الكوري ذو الحربة — Snipes Bill » و « الكوري المخطط — Zigzag Cowrie » صفات حقيقية لمسمياتها .

ما رغب الهاوي في متابعة هوايته ، وغالبا ما يفعل ذلك . عرف لماذا يحسن به أن يجمع الودع والصدفيات المخروطية التي تحمل في داخلها حيوانات حية ما أمكنه ذلك ، وأدرك أن هذه تفضل الأصداف والودع التي ماتت حيواناتها ، فالأولى تزهر بلونها المتألق وبريقها الجذاب ، ذلك لأن الحيوانات التي تعيش داخل هذه القواقع تفرز على أصدافها من الخارج طبقة رقيقة جدا تحول دون علوق الكائنات الحية البحرية الدقيقة بها ، وتحميها من الاحتكاك برمال البحر نتيجة لحركات الموج التي تتقاذفها في كل اتجاه ، فإذا مات الحيوان بطل مفعول هذه الطبقة الواقية وتخدشت الصدفة وعلق بها من الكائنات الحية الدقيقة ما يشوه لونها ويبهت بريقها .

أما الحيوانات التي تعيش داخل « الصدفيات المخروطية — Cones » فإنها تغطي أصدافها بطبقة جلدية تدعى « سمحاق—Periostracum » وتتفاوت من حيث سمكها بين صنف من هذه الصدفيات وآخر . فهي رقيقة جدا في حالة « المحار المخروطي المغربي— Sand-dusted Cone »



صدفة اعرونة ( كلايكنس فروبيس ) .



صدفة فيوس كلام



تمثل هذه الأصداف : ١ - « بارترج تن » . ب - صدفة « بونت » . ج - صدفة « مانور هارب » د - باسفيك « كرنج تن »

## والفر

٢٦ كيلوغراما ، الى « محار الحجل - Partridge Shell » وغير ذلك من الأصناف التي لا حصر لها . وتوجد اللاققرات في مختلف بقاع العالم ، في قيعان المحيطات أو قمم الجبال على حد سواء .

وهناك ستة أصناف رئيسية من اللاققرات هي : اللاققرات البطنية الأرجل (الاحادية المصراع أو الحلزونية) ، واللاققرات ذات المصراعين (الزريق) ، والصدفيات النابية . والصدفيات الدرعية (الكيشونات) ، واللاققرات الرأسية الأرجل (كالنوتل) ، والرحال ، والأخطبوط ، والصدفيات الاحادية النادرة التي تعيش في مياه البحار العميقة) .

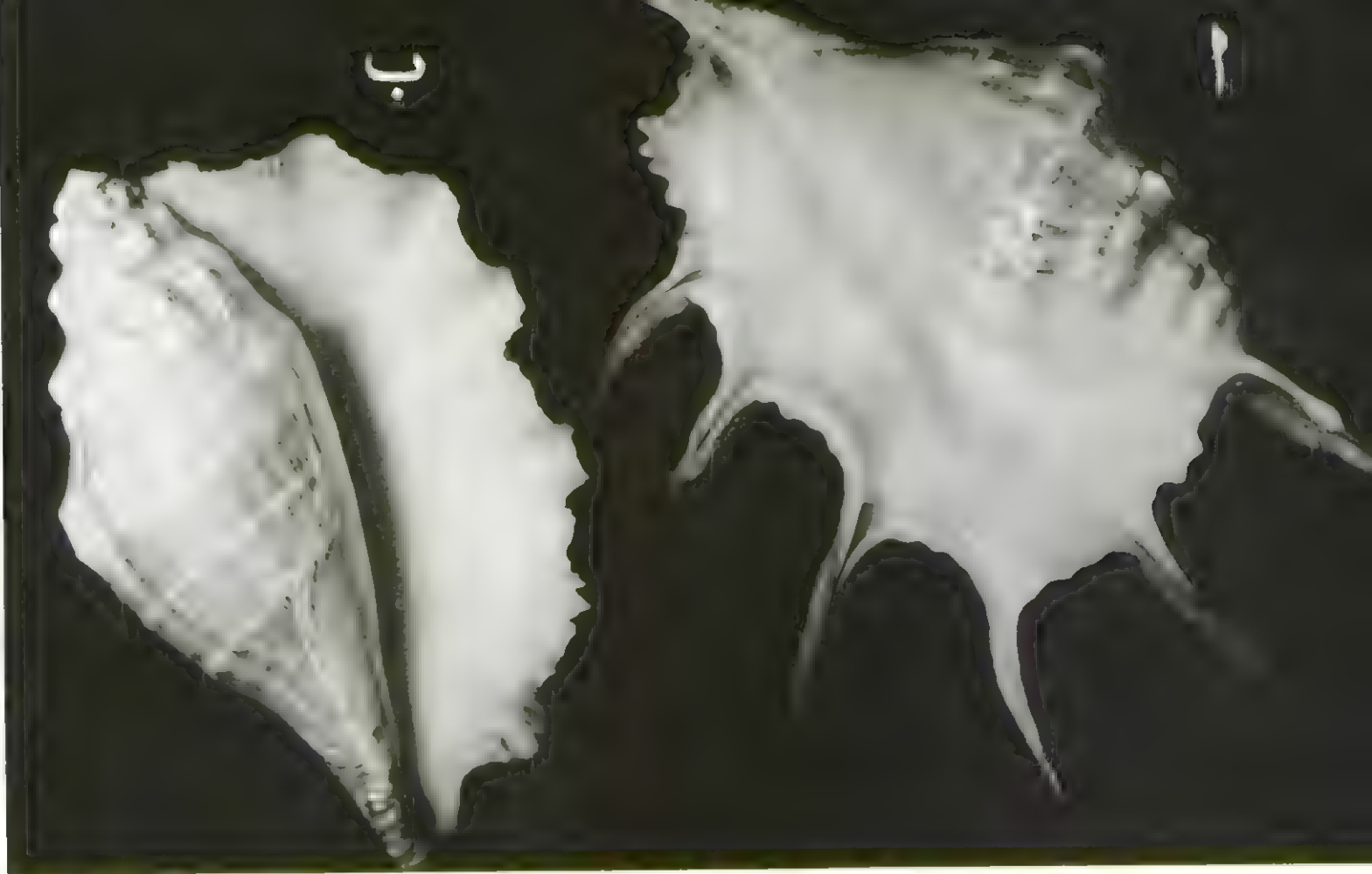
وتنقسم هذه الأصناف الى ما يربو على ١٠٠ فرع يزيد عدد عيناتها الموجودة حاليا على ١٠٠٠٠٠ صنف . وتشكل الصدفيات المخروطية نسبة ضئيلة منها ، اذ يتراوح عدد أصنافها بين ١٤٥ و ١٩٠ صنفا ، أما أصناف الودع فتتراوح بين ٤٠٠ و ٦٠٠ صنف .

عرفنا مكانة اللاققرات من مملكة الحيوان ، أدركنا كنه هذا التنوع المتسع في أصناف الودع والأصداف . ومن المعلوم أن الحيوانات الرخوة (الهلامية أو اللاققرية) تشمل عائلة بأسرها من العائلات الأربع عشرة التي تنقسم اليها مملكة الحيوان ، في حين تؤلف الفقريات كالشديدات والأسماك والطيور والزواحف والبرمائيات وأصناف عديدة غيرها عائلة أخرى من العائلات المذكورة ، اذا ما ألمنا باتساع عائلة الفقريات وتنوعها وشموعها أصنافا تختلف في أشكالها وحجومها : كالقيل والعصفور والأفعى والسحبة وغيرها ، استطعنا أن ندرك ، بالمقارنة ، مدى اتساع عائلة اللاققرات وتنوعها وشموعها ، أيضا ، لأصناف تختلف شكلا وحجما . فمن « محار الحلزون الأرجواني - Violet Snail » الى المحار الذي يبدو على شكل عمة خضراء « Turban Shells » الى « الحلزون ذي الصدفة البيضاء - Marginella Aphanacwe » الى « محار الزريق الكبير - Tridacna Gigas » الذي يبلغ طول بعض عيناته نحو ١٣٠ سنتمترا ووزنه نحو

سبيكة مخملية الشكل ، بنية اللون في حالة « محار العذراء - Virgin Cone » . وهذه الطبقة الجلدية لا تقي الصدفة التي تعلوها فحسب ، بل تغطيها تماما الى درجة أنه يصعب على غير العين الحاذقة أن تميزها وهي ملقاة على رمال الشاطئ ، فاذا ما التقطت ، وكشطت طبققتها الواقية تفتحت عن صدفة بيضاء ناصعة ، ولذلك فان كثيرا من الهواة يفضلون أن تكون لديهم عينات تمثل الحالتين كليهما .

ويتحلى هواة جمع الودع والأصداف عادة بالأنانة والصبر ، لأن تنظيف الأصداف وتلميعها والعناية بها أمور تستغرق جهدا كبيرا ووقتا طويلا لا يقصر عن الوقت الذي تستغرقه العناية بقطع الأثاث الأثرية أو التحف أو السيارات القديمة .. ولعل كثيرا من الهواة يضجرون عند هذا الحد من ممارستهم لهوايتهم ، وربما يفكر بعضهم بتركها ، ولكن أغلبهم يكون قد ألم بأصناف عديدة من الودع والأصداف وأصبح مندهشا بتنوعها ، مما يدفعه الى متابعة هوايته بغية استكمال مجموعته ، ما أمكنه ذلك .





تمثل الصدفة (أ) صدفة كاملة. النمو من نوع « سيبا سايدر » وتمثل الصدفة (ب) صدفة غير كاملة النمو من النوع ذاته .  
جانب من صدفة « كاميو » المقبية .



**وينقسم** عالم اللاققریات الى مناطق جغرافية مختلفة ، ونظرا

لصعوبة تنقل الحيوانات اللاققرية من منطقة الى أخرى بسبب بعد الشقة واختلاف درجات الحرارة ، فان بعض هذه المناطق قد تحوي عينات لا تحويها المناطق الأخرى ، الأمر الذي يفتح مجالا واسعا أمام الهواة لكي يتعارفوا ويتبادلوا العينات بالمقايضة أو الشراء بغية استكمال مجموعاتهم . وتعيش في الشواطئ الغربية لقارة أمريكا الشمالية أصناف من الحيوانات الصدفية والودعية يتعذر عليها العيش في شواطئها الشرقية ، كما أن مياه منطقة « كاليفورنيا » الباردة تضم أصنافا تختلف عن الأصناف التي تضمها مياه منطقة « بنما » الدافئة .

وتعتبر الشواطئ الشرقية للجزيرة العربية إحدى ست مناطق في العالم تشتهر بوجود محارات « الملبقرينا فلقارس - Melegrina Vulgaras » الغنية باللؤلؤ ، في حين أن شواطئ البحر الأحمر لا تحوي هذا الصنف من المحار . أما البحر الأبيض المتوسط وبحر اليابان وشواطئ جنوبى أفريقيا فيشتهر كل منها بأصناف خاصة .

ولعل منطقة « المحيط الهندي - المحيط الهادى » هي أكبر هذه المناطق اطلاقا ، فهي تمتد من جزر هاواي الى استراليا ، ومن جزر الهند الشرقية الى الفلبين . وتعتبر شواطئ البحر الأحمر ذات أهمية خاصة بالنسبة للهواة لأنها تحصر في جيوبها الأرضية المغلفة عينات صدفية فريدة لا تكاد تكون موجودة في المناطق الأخرى .

وتتألف هذه المناطق من بيئات طبيعية مختلفة ، ولكل صنف من اللاققریات بيئته التي تناسب ظروف نموه ، « فاللاققریات ذات الأصداف الحلزونية - Conches » مثلا تكثر في المناطق الرملية من قيعان البحار وخاصة حيث يكون الماء ضحلا ، في حين تتكاثر « اللاققریات ذات الأصداف المخططة - Volutes » في مناطق المياه العميقة ، والودع في المناطق الصخرية ، وهكذا . وبالإضافة الى هذا فان كثيرا من هذه الأصناف تتطلب بيئات خاصة ذات صفات معينة تختلف عن صفات بيئات كثيرة من الأصناف . ففي البحر الأحمر يكثر وجود « اللاققریات ذات الأصداف المبرومة - Subvlate Auger » الطويلة الحادة كأقلام الرصاص المبرية ، وخصوصا تحت الرمال في المناطق الفاصلة بين المياه الضحلة والمياه العميقة بينما يكثر وجود « اللاققریات ذات

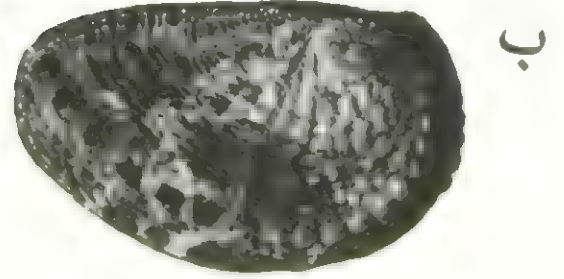
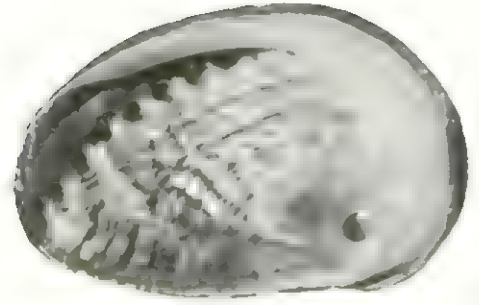
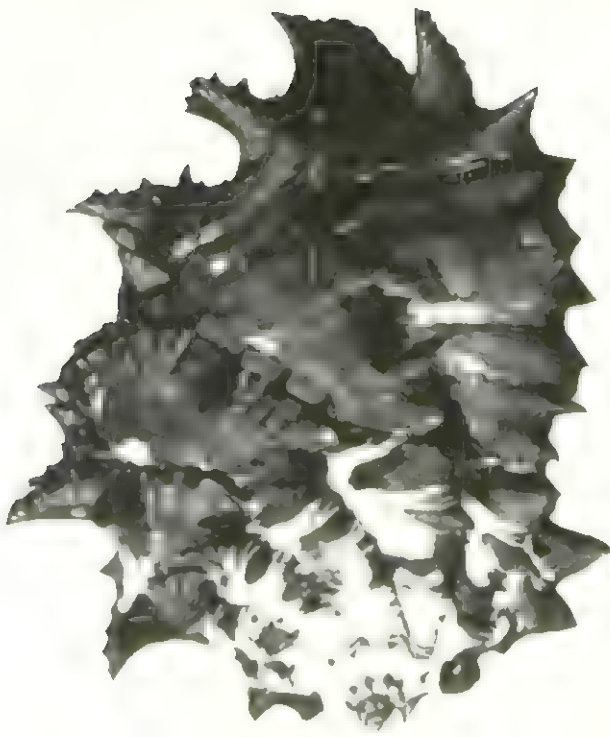


أحد الصيادين يستعرض بعض الأصداف الحلزونية والمرجان التي جمعها بالقرب من شواطئ جدة .



الودعة المسماة (الكوري الجميل) .





أ

ب

صدقة « ميوركس السوداء » ، الشائعة الوجود في خليج كاليفورنيا .

تمثل الصدقة (أ) الجزء الداخلي الملاصق لجسم الحيوان وتمثل الصدقة (ب) الجزء الخارجي منه .

والاستقصاء عن عينات منها ، فصدة « الميوركس فينوس الثلاثية الأشواك » Venus Comb murex وصدقة « الظنوب العربي » Arabian Tibia مثلا تشكلا ن تحدياً كبيراً بالنسبة للهواة في منطقة الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، وخصوصاً اذا أرادوا أن يعثروا على عينات منها تحمل حيوانات بحرية حية .

وخلال المراحل المتقدمة من ممارسة الهواي لهوايته ، ينتقل من دراسة المحاربات ( Conchology ) الى دراسة علم الرخويات أو السلافقريات ( Malacology ) .. أو بالأحرى ، يجد الهواي نفسه مهتما بمعرفة الحيوانات التي تعيش داخل الأصداف التي يجمعها ، لا بالأصداف وحدها .. وذلك ما يساعده على معرفة كيفية تشكل الأصداف وتلوّنها .

الحيوانات الرخوية كيات كبيرة من البيض في الرمال أو على الصخور أو في مياه البحر فيفقس عن رخويات دقيقة جدا تسبح في المياه المحيطة بها ، ثم لا تلبث أن تسكن عن الحركة لتصنع أصدافها . وترقد بعض الرخويات على بيضها ، كما يفعل الدجاج ، الى أن يفقس . ويحتفظ بعضها به في جسمها الى أن يفقس عن الدقائق الرخوية التي أسلفنا ذكرها .

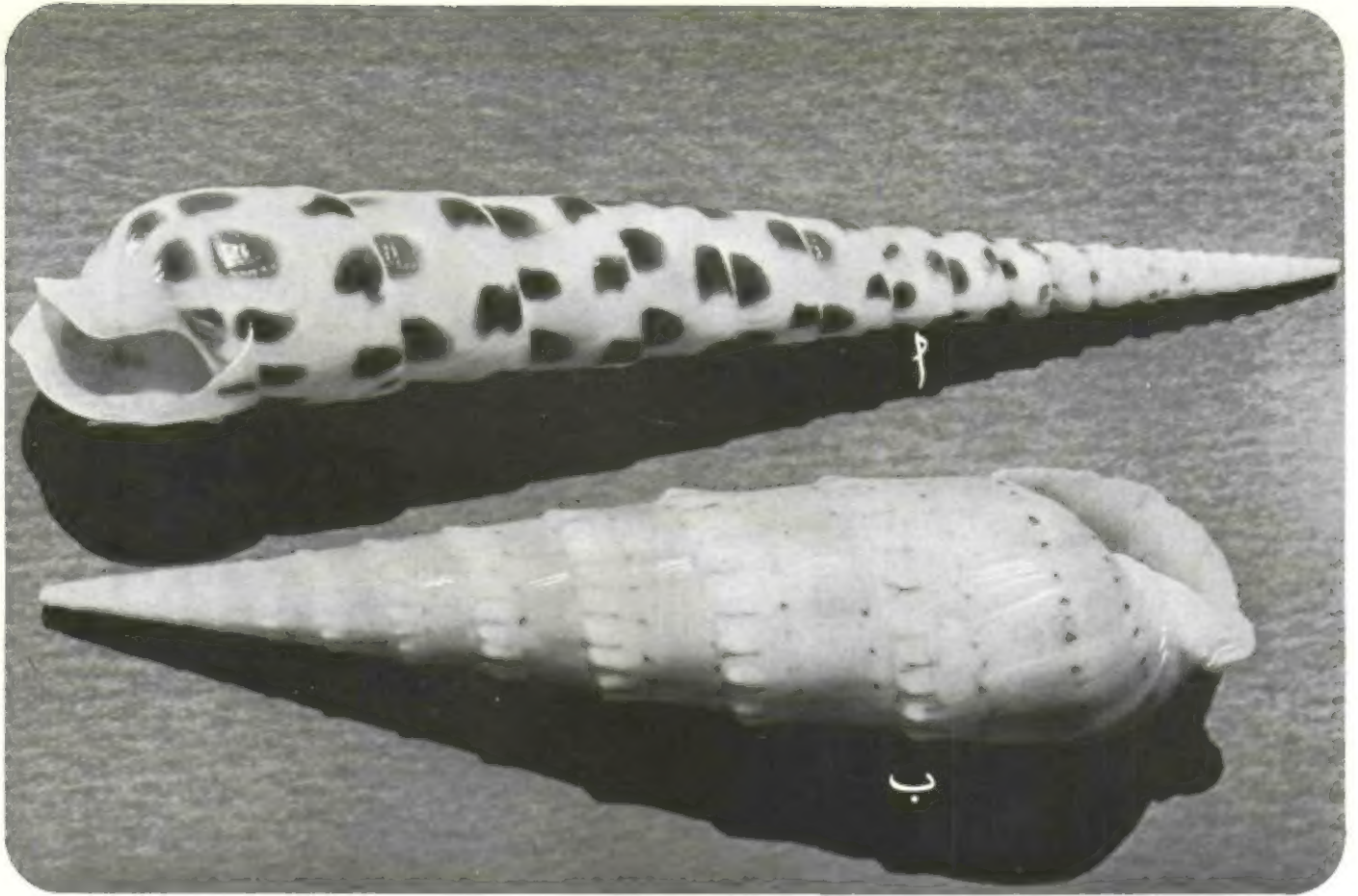
المخططة - Straite Cones تحت صخور الشعاب . ومن الجدير بالذكر أن حيوانات الصنفين الأخيرين تخفي نفسها في الرمل ، وهي خطيرة جدا ، اذ تستطيع أن تحقن سمها في جسم الانسان بواسطة شعيرات دقيقة جدا عند أنفها ، الأمر الذي قد يؤدي الى شلل الضحية . الأصداف بارع في اخفاء نفسه ، ويساعده على ذلك أحيانا تغذر الوصول الى أماكن وجوده . وبعض الأصداف شائع الوجود في منطقة دون غيرها من المناطق ، كصدقة « مجد البحار - Glory-of-the-seas » مثلا ، فهي نادرة الوجود اطلاقا . ومنذ اكتشاف هذا الصنف عام ١٧٧٧ للميلاد لم يعثر الهواة الا على ٧٠ صدقة منه . ويصل ثمن الصدقة الواحدة من صنف « مجد

الهند - Glory-of-India » الى نحو ٦٠٠٠ ريال ، أما صنف « الكوري الكبير المنقط - Cypreas Guttala » فلم يعثر الا على ١٧ صدقة منه ، وقد بلغ ثمن الواحدة منها نحو ٣٨٠٠ ريال .

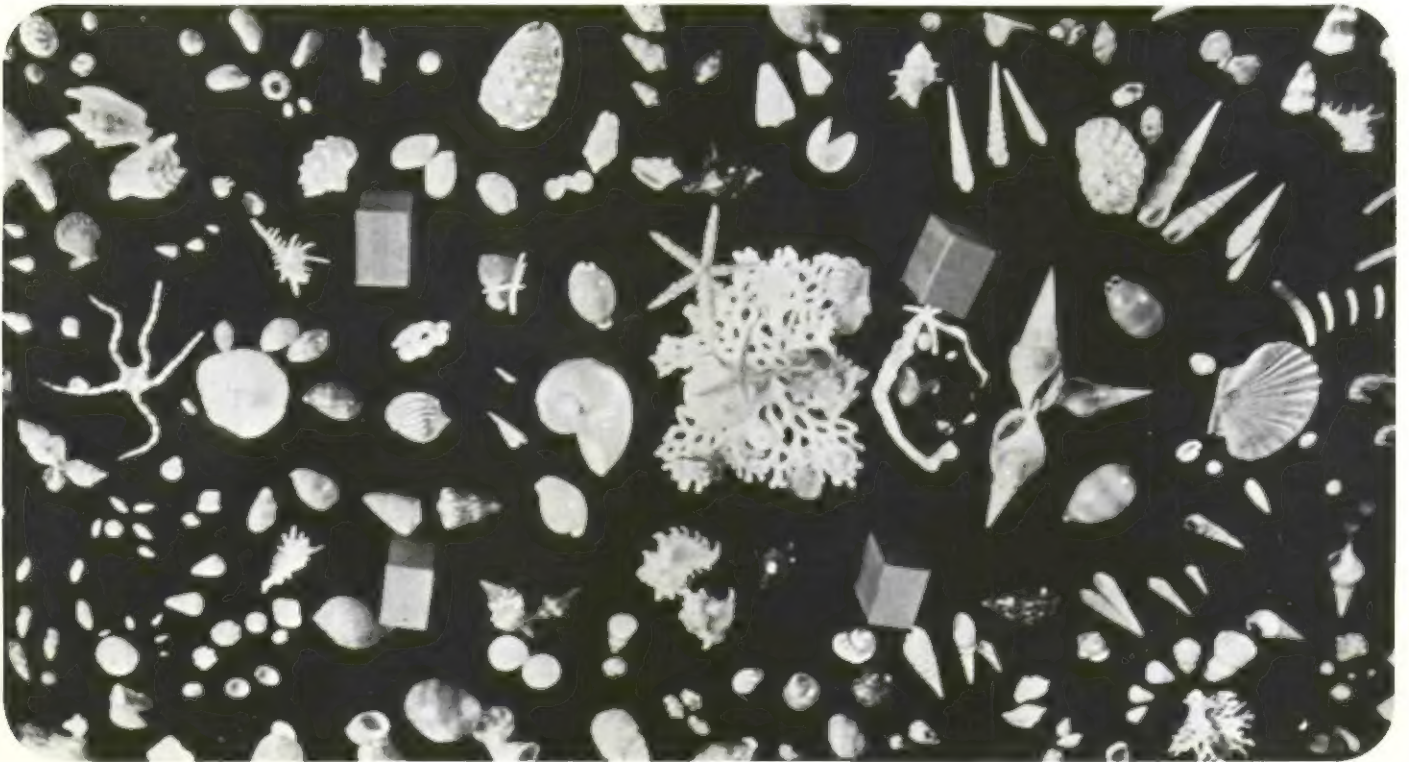
غير أن الهواة لا يعبأون كثيرا بهذه الأصناف ، على الرغم من أن فرصة العثور عليها تكاد تكون نادرة . وتشكل بعض الأصناف المتسيرة في مناطقهم تحديا لهم مما يدفعهم الى البحث

الأصداف المبرومة والمشرشرة «Crenulate Augers» في المناطق التي يبلغ عمق الماء فيها نحو ١٢ قدما . وتفضل بعض أصناف الودع الشائعة الوجود في البحر الأحمر «الكوري المرقط Pantherina » و «كوري كرايانا - Qrayna » و «كوري كارنبولا - Carneola » و «الكوري النحيف - Gracilis » و «الكوري البني الضارب الى الخضرة - Isabella » . . . تفضل مناطق الشعاب الداخلية حيث الماء ساكن ونقي وبارد نوعا ما . أما أصناف «كوري النمر - Lynx » و «كوري تاردس - Turdus » و «الكوري المخطط كالزرافة - Camelopardalis » فتفضل مناطق المياه الدافئة القريبة جدا من الشاطئ . في حين يختبئ «الكوري الساكن - Stolid Cowrie » في رؤوس الشعاب المرجانية بدلا من أسفل الصخور .

أما الصدفيات المخروطية من أصناف «أرناتس Arenatus » و «تسلياقس - Tessulatus » و «فيرغو - Virgo » و «سوماترنس - Sumatrenis » و «فكسيلم - Conus » و «فتكاثر على الرمال أو تحتها في المنطقة الواقعة بين الشاطئ والشعاب المرجانية في حين تختبئ «المخروطيات ذات النقوش النسيجية - Textile Cone » و «المخروطيات



تمثل هاتان الصدفتان المخروطيتان : أ - الصدفة المبرومة . ب - الصدفة المبرومة والمشرشرة .



مجموعة متنوعة من الأصداف والودع البحرية التي يكثر وجودها في البحر الأحمر .





تصوير : خليل أبو النصر

صدقة « كاميو » بألوانها الجميلة المتعددة .

أحد علماء متحف العلوم الطبيعية الأمريكي ، وعند دراسة هذه الصدقة وجد أنها تمثل صنفا فريدا من نوعه لم يكتشف بعد ، وبذلك أصبح يعرف باسم « صدقة بل أولد الحلزونية - Bill Old's Conch » نسبة الى العالم الأمريكي المذكور .

ولعل مثل هذا الاكتشاف هو آخر ما يخطر في ذهن الهواة المبتدئين ، الا أن الكثيرين منهم يكتفون بنسيم الفجر المشيع بملوحة مياه البحر ، وصفاء لوحته الزرقاء ، ومتعة البحث الدائب عن معين لا ينضب من جمال خلابة يتمثلونه في ودعة أو صدقة ملقاة على الرمل أو بالقرب من حافة إحدى الشعاب عند شواطئ البحار ■

النمو وبين « الصدقة الفقاعية الصغيرة - Bubble Shell » . ويستغرق صنع الحيوان لصدفته مدة تتراوح بين سنة وست سنوات ، وتكون حصيلة ذلك لوحة فنية البريق يعرف الكثير من الهواة أن التقاطها ربما يعني إضافة اسم جديد لصنف لم يكتشف بعد من أصناف الأصداف العديدة . بيد أن ذلك نادر الحدوث طبعاً .. وإن كان من المعلوم أن نواة مجموعة أصداف المتحف البريطاني كانت مجرد مجموعة تخص أحد الهواة العاديين وهو « السير هانز سلون » (١٦٦٠ - ١٧٥٣) ، كما أن أحد الهواة المبتدئين ، وهو « المستر أورفل ايقس » ، قدّم عام ١٩٥٦ إحدى أصدافه الحلزونية الى « المستر وليام أولد »

ويعتبر صنع هذه الدقائق لأصدافها ضرباً من « الخيمياء - Alchemy » إذ تعتمد الدقائق الرخوية الى المركبات المعدنية الذائبة في مياه البحر فتحولها بمساعدة غدة خاصة ، الى ضروب مختلفة من الألوان والتشكيلات التي تولف كل واحدة منها صدقة تشبه أصداف الصنف الذي ينتمي الحيوان اليه ، والذي يختلف بالطبع عن الأصناف الأخرى .

وكثيراً ما يلتقط الهواة أصدافاً غير مكتملة النمو ، ولعل من الصعب تمييز ذلك ، إذ أن مثل هذه الأصداف تشبه أصدافاً من أصناف أخرى مكتملة النمو كما هو الحال في الودع .. إذ كثيراً ما يخلط الهواة بين الودعة غير المكتملة





نمونه لصَفَة "ترسيون" (*Cymatium Pileare*)  
زبان الشعيرات، وهي من الأصناف الجميلة الرائعة



الذرة التي كانت تسمى الكرمات في بعض المناطق  
والتي كانت تسمى الكرمات في بعض المناطق

